سورة القصص

مكية وآياتها ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم (١) تلك آيات الكتاب المبين (٢) نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون (٣) إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين (٤) ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (٥) ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (٦)

اللغة :

(شيعا) في القاموس والتاج وغيرهما من كتب اللغة : « شيعة الرجل أتباعه وأنصاره والجمع شيَع وأشياع ، والشيعة : الفرقة وتقع على الواحد والاثنين والجمع مذكراً ومؤنثاً وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته حتى صار لهم اسماً خاصاً

الواحد شيعي » وقال الزمخشري : « شيعاً : فرقاً يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوي عنقه ، قال الاعشى :

وبلـــدة يرهـب الجواب دلجتهـــا
حـــتى تـــراه عليـــها يبتـــغي الشـيعا

أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته أو أصنافاً في استخدامه يتسخر صنفاً في بناء وصنفاً في حرث وصنفاً في حفر ، ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقاً مختلفة ، قد أغرى بينهم العداوة » ومعنى البيت الذي أورده الزمخشري للأعشى : ربّ مفازة يخاف الجواب أي كثير السفر من جبت الأرض إذا قطعتها بالسير والدلجة من دلـــج وأدلج وادّلج إذا سار ليلاً والدلجة ساعة من الليل أي يخاف المعتاد عـلى السير من سيرها ليلاً حتى يطلب الجماعات المساعدين له على سيرها وبعد البيت قوله :

كلفـــت مجهولهـــا نفسي وشايعـــني
همّي عليهـــا إذا ما آلهـــا لمعـــا

بـــذات لـــوث عفرنـــاة إذا عثرت
فالتعس أولى لهـــا من أن يقـــال لعا

يقول : كلفت نفسي سير المجهول منهـــا وعاودني عزمي عـــلى سيرها وقت لمعان آلها وهو السراب الذي يرى عند شدة الحر كأنه ماء مع أن سير الهاجرة أشد من سير الليل ثم قال مع ناقة صاحبة قوة ويطلق اللوث على الضعف أيضاً فهو من الأضداد ، وعفرناة : غليظة

ويقال للعاثر : لعاً لك دعاء له بالاتنعاش وتعساً له دعاء عليه بالسقوط يريد أنها لا تعثر ولو عثرت فالدعاء عليها أحق بها من الدعاء لها .

(ويستحيي نساءهم) : يبقيهن أحياء لقول بعض الكهنة له إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب زوال ملكك .

(هامان) : وزير فرعون المذكور هنا وهامان عدو اليهود وزير احشويروش الفارسي ذكر في سفر استير من كتب العهد القديم .

الاعراب :

(طسم تلك آيات الكتاب المبين) تقدم القول فيها وتلك مبتدأ وآيات الكتاب المبين خبرها . (تتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) تتلو فعل مضارع مرفوع وفاعل مستتر تقديره نحن وعليك متعلقان بنتلو ومن نبأ صفة لمفعول به محذوف أي شيئاً من قصة موسى وفرعون وفيه حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه وبالحق حال من فاعل تتلو أي حال كوننا ملتبسين بالحق والصدق أو من المفعول أي حال كونه ملتبساً بالحق والصدق ولقوم متعلقان بنتلو فهو بمثابة التعليل له أي لأجل قوم وجملة يؤمنون صفة لقوم . (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً) كلام مستأنف مسوق لبيان قصة فرعون أو جملة تفسيرية لنبأ موسى وكلتاهما لا محل لهما من الاعراب وإن واسمها وجملة علا خبرها وفاعل علا ضمير مستتر جوازاً تقديره هو أي فرعون وفي الأرض متعلقان بعلا وجعل أهلها فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول وشيعاً مفعول به ثان . (يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين) جملة يستضعف

حالية من فاعل جعل أو صفة لشيعاً ولك أن تجعله كلاماً مستأنفاً وفاعل يستضعف هو وطائفة مفعول به ومنهم صفة لطائفة ويذبح بدل اشتمال من يستضعف لأن الاستضعاف مشتمل على الذبح والاستحياء معاً وأبناءهم مفعول يذبح ويستحيي نساءهم عطف على يذبح أبناءهم وجملة إنه تعليل لهذه الأعمال وان واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر تقديره هو ومن المفسدين خبر كان . وإنما كان فرعون يذبح أبناءهم ويترك النساء لأن المنجمين في ذلك العصر أخبروه أنه يذهب ملكه على يد مولود من بني إسرائيل . قال الزجاج : « والعجب من حمق فرعون ، فإن الكاهن الذي أخبره بذلك إن كان صادقاً عنده فما ينفع القتل وان كان كاذباً فلا معنى للقتل » .

(ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض) الواو عاطفة أو حالية فإن جعلتها عاطفة عطفت الكلام على قوله إن فرعون علا في الأرض لأنها نظيرة تلك في وقوعها تفسيراً لنبأ موسى وفرعون وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية ، وإن جعلتها حالية فالجملة حال من يستضعف أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم . وأن وما في حيزها مفعول نريد وعلى الذين متعلقان بنمن وجملة استضعفوا صلة وفي الأرض متعلقان باستضعفوا أو بمحذوف حال أي حالة كونهم على الأرض ولعله أولى . (ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) ونجعلهم عطف على نمنّ والهاء مفعول به أول وأئمة مفعول به ثان ونجعلهم الوارثين عطف على نجعلهم أئمة . (ونمكّن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) ونمكن عطف على نجعل وفاعله مستتر تقديره نحن ولهم متعلقان بنمكن وفي الأرض حال ونري عطف أيضاً وفرعون مفعول به وهامان عطف على فرعون

وجنودهما عطف على فرعون وهامان ومنهم متعلقان بنري أي ونري فرعون وهامان وجنودهما من بني إسرائيل ما كانوا يحذرون أي يخافونه منهم وقد وقع على يد مولود منهم ، وما مفعول به ثان لنري وجملة كانوا صلة وكان واسمها وجملة يحذرون خبر كانوا .

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

اللغـــة :

(ولا تخافي ولا تحزني) : الخوف هو غم يلحق الانسان لأمر مكروه متوقع والحزن غم يلحقه لأمر مكروه واقع وسيأتي تقرير ذلك في باب البلاغة وما ورد من الاعتراض على هذا العطف .

(قصيه) : اتبعي أثره وتتبعي خبره وبابه نصر . وسيأتي المزيد من شرح هذه المادة .

(جنب) بضمتين : مكان بعيد ، يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد .

الاعراب :

(وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه) الواو عاطفة وجملة أوحينا عطف على قوله ان فرعون علا في الأرض وكلتا الجملتين داخلة في حكم تفسير النبأ وأوحينا فعل وفاعل والى أم موسى متعلقان بأوحينا وأن مفسرة لأن الإيحـاء فيه معنى القول دون حروفه ويجوز أن تكون مصدرية على بابها وهي مع مدخولها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بأوحينا وأرضعيه فعل أمر وفاعل ومفعول به . (فإذا خفت عليه فألقيه في اليم) الفاء عاطفة وخفت فعل وفاعل وعليه متعلقان بخفت ، فألقيه الفاء رابطة وألقيه فعل أمر مبني على حذف النون والياء فاعل والهاء مفعول به وفي اليم جار ومجرور متعلقان بألقيه وأراد باليم النيل . (ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) الواو عاطفـة ولا ناهية وتخافي فعـل

مضارع مجزوم بلا ولا تحزني عطف على لا تخافي وجملة إنا رادوه تعليل للأمر والنهي وان واسمها ورادوه خبرها وإليك متعلقان برادوه وجاعلوه عطف على رادوه وقد أضيف اسم الفاعل الى مفعوله الأول ومن المرسلين في محل نصب مفعوله الثاني . (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) الفاء عاطفة على محذوف للايجاز تقديره فأرضعته وألقته في نهر النيل في تابوت أعدته له وجرى به النيل الى قبالة قصر فرعون المطل عليه فالتقطه آل فرعون ، ويعبرون عنها بالفصيحة أيضاً . وهو فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وليكون اللام قيل للتعليل وقيل للعاقبة وسيأتي تفصيل ذلك وبحث هذه اللام في باب الفوائد ، ويكون على كل حال فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد اللام واسم يكون مستتر تقديره هو وعدواً خبر يكون وحزناً عطف على عدواً .

(إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) كلام لا محل له من الاعراب لأنه تعليل لما سبق من أمور وقيل هو كلام معترض بين معطوف عليه وهو فالتقطه آل فرعون ومعطوف وهو وقالت امرأة فرعون. وان واسمها وهامان وجنودهما عطف على فرعون وجملة كانوا خبر إن وكان واسمها وخاطئين خبرها . (وقالت امرأة فرعون : قرة عين لي ولك) الواو عاطفة وقالت عطف على فالتقطه آل فرعون وامرأة فرعون فاعل قالت وهي آسية بنت مزاحم وسيأتي ذكرها في قصة موسى وفرعون ، وقرة عين خبر لمبتدأ محذوف أي هو قرة عين ولي ولك صفتان للقرة وقد خبط بعض المعربين خبطاً عجيباً في إعراب هذه الآية سنلمع إليه في باب الفوائد . (لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون) لا ناهية وتقتلوه فعل مضارع

مجزوم بلا والواو فاعل والهاء مفعول به وعسى فعل ماض من أفعال الرجاء وهي تعمل عمل كان ، واسمها مستتر تقديره هو وأن ينفعنا مصدر مؤول في محل نصب خبر عسى أو نتخذه عطف على ينفعنا والهاء مفعول به أول وولداً مفعول به ثان ، وهم : الواو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يشعرون خبر والجملة حال من آل فرعون وهي من كلام الله تعالى ويبعد أن تكون من كلام آسية • (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً) الواو استئنافية وأصبح فعل ماض ناقص وفؤاد أم موسى اسمها وفارغاً خبرها وسيأتي تفسير هذا الكلام في باب البلاغة • (إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) إن مخففة من الثقيلة وكادت فعل ماض من أفعال المقاربة واسمها مستتر تقديره هي واللام الفارقة وجملة تبدي خبر كادت وبه متعلقان بتبدي وإذا أعملت « إن » كان اسمها ضمير شأن محذوف وجملة كادت خبرها والأولى إهمالها ، ومعنى لتبدي به أي تظهر القول به والضمير لموسى وقيل الباء زائدة والهاء في محل نصب مفعول به والأول أضبط ولولا حرف امتناع لوجود وأن مصدرية وهي مع مدخولها مصدر في محل رفع مبتدأ محذوف الخبر أي لولا ربطنا على قلبها حاصل ، وعلى قلبها متعلقان بربطنا وجواب لولا محذوف أي لأبدت به ولتكون اللام للتعليل وتكون فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بربطنا أيضاً ومن المؤمنين خبر تكون • (وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون) الواو عاطفة وقالت فعل ماض وفاعل مستتر تقديره هي أي أم موسى ولأخته متعلقان بقالت وقصيه فعل أمر مبني على حذف النون والياء فاعل والهاء مفعول به ، فبصرت الفاء عاطفة على محذوف أي فذهبت ترتاده

وتقص آثاره ، وبه متعلقان ببصرت وعن جنب في موضع الحال من فاعل بصرت أي بصرت به مستخفية كائنة عن جنب أو من المجرور وهو به أي بعيداً والواو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يشعرون خبر .

(وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للشروع في بيان سبب رده الى أمه ، وحرمنا فعل وفاعل وعليه متعلقان بحرمنا والمراضع مفعول به ومن قبل حال ـ والمراضع جمع مرضع وهي التي تمارس الإرضاع ولم تباشره أو جمع مرضع بفتح الميم والضاد اسم مكان الرضاع يعني الثدي ـ فقالت الفاء الفصيحة أي لما رأت أخته ذلك قالت وهل حرف استفهام وأدلكم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وعلى أهل بيت متعلقان بأدلكم وجملة يكفلونه صفة لأهل بيت ولكم متعلقان بيكفلونه والواو حالية وهم مبتدأ وله متعلقان بناصحون وناصحون خبر .

(فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن) الفاء عاطفة ورددناه فعل وفاعل ومفعول به والى أمه متعلقان برددناه وكي حرف تعليل ونصب وتقر فعل مضارع منصوب بكي ولا تحزن عطف على تقر ، ودمع الفرح بارد وعين المهموم حرى سخينة . (ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) الواو عاطفة واللام للتعليل وتعلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي تعلم وان واسمها وحق خبرها والواو حالية ولكن أكثرهم لكن واسمها وجملة لا يعلمون خبرها .

البلاغـة :

١ ــ معنى الخوف والحزن :

لقائل أن يقول: ما الفرق بين الخوف والحزن حتى عطف أحدهما على الآخر في قوله « **ولا تخافي ولا تحزني** » ؟ ثم أليس من التناقض أن يثبت الخوف في قولـــه « **فإذا خفت عليه** » ثم ينفيه بقولـــه « **ولا تخافي** » والجواب على التناقض المزعوم أن الخوف الأول المثبت هو غرقه في النيل والثاني هو خوف الذبح فاندفع مايتوهم من تناقض، وأما الاعتراض الاول فهو مندفع بأن هذا من باب الاطناب بل هو قسم نادر من أجمل أقسامه، وهو أن يذكر الشيء فيؤتى فيه بمعان متداخلة إلا أن كل معنى مختص بخصيصة ليست للآخر ، فقـد قلنا في باب اللغة أن الخوف هو غم يصيب الانسان الأمر يتوقع نزوله في المستقبل أما الحزن فهو غم يصيبه الأمر وقع فعـلاً ومضى فنهيت عنهما جميعاً ومنه قول أبي تمام وقد كان بارعاً فيه :

قطعت إليّ الزابيـين هباته   والتاث مأمول السحاب المسبل
من منة مشهـورة وصنيعـة   بكـر وإحسان أغر محجـل

فقولـه منة مشهورة ، وصنيعة بكر ، وإحسان أغر محجـل تداخلت معانيه ، إذ المنة والصنيعة والإحسان متقارب بعضه من بعض وليس ذلك بتكرير كما يتوهم لأنه لو اقتصر عـلى قوله منة وصنيعة وإحسان لجاز أن يكون تكريراً ولكنه وصف كل واحدة من هـذه الثلاث بصفة أخرجتها عن حكم التكرير فقال « منه مشهورة » فوصفها بالاشتهار لعظم شأنها و « صنيعة بكر » فوصفها بالبكارة أي أنها لم يؤت بمثلها من قبل و « احسان أغر محجل » فوصفه بالغرة والتحجيل

أي هو ذو محاسن متعددة فلما وصف هذه المعاني المتداخلة التي تدل على شيء واحد بأوصاف متباينة صار ذلك إطناباً ولم يكن تكريراً •
وقد اشتملت هذه الآية « وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين » على أمرين وهما « أرضعيه،فألقيه » ونهيين وهما « لا تخافي، ولا تحزني » وخبرين وهما : « إنا رادوه إليك،وجاعلوه من المرسلين» وبشارتين في ضمن الخبرين وهما رده إليها وجعله من المرسلين •

٢ ــ الكناية :

وذلك في قوله « وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً » فإن ذلك كناية عن فقدان العقل وطيش اللب والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طاش صوابها وطار عقلها لما انتابها من فرط الجزع والدهش ومثله قوله تعالى « وأفئدتهم هواء » أي جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان :

ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوّف نخبٌ هواء

وهذا البيت من قصيدة مطولة لحسان بن ثابت يهجو بها أبا سفيان قبل إسلامه وبعده :

بأن سيوفنا تركت عبيداً وعبد الدار سادتها الإماء

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء فشرّ كما لخير كما الفداء

أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

وألا أداة للتنبيه والاستفتاح والمأمور بالإبلاغ غير معين ، ثم التفت ليشير غيظ أبي سفيان ، وكان مقتضى السياق أن يقول « فإنه » أي أبا سفيان لكن مخاطبته ومشافهته بالذم أمض للنفس وأقذع في الهجاء ، والمجوف والنخب والهواء خالي الجوف أو فارغ القلب من العقل والشجاعة واسناد الترك للسيوف مجاز عقلي لأنها آلة للفعل وعبيد بالتصغير قبيلة وكذلك عبد الدار سادتها مبتدأ والإماء خبره والجملة في محل المفعول الثاني لتركت أي صيرت عبيد الاسادة لها إلا النساء وصيرت عبد الدار كذلك وأتهجوه الإستفهام إنكاري توبيخي والواو بعده للحال أي لا ينبغي لك ذلك وشر وخير اسما تفضيل واختصا بحذف همزتهما تخفيفاً لكثرة استعمالهما لكن المراد بهما هنا أصل الوصف لا الزيادة فيه والشر أبو سفيان وجملة فشركما لخير كما الفداء دعائية دعا عليه أن يكون فداء لرسول الله وأبرزه في صورة الابهام لأجل الانصاف في الكلام ولذلك لما سمعه الحاضرون قالوا هذا أنصف بيت قالته العرب وأمن يهجو استفهام انكاري أي ليس من يهجوه منكم ومن يمدحه وينصره منا مستويين ويحتمل أن الهمزة للتنبيه أو للنداء والمنادى محذوف أي يا قوم أبي سفيان إن الذي يهجو رسول الله منكم والذي يمدحه وينصره منكم مستويان في عدم الاكتراث بهما والوقاء ما يتوقى به المكروه وزان الحزام والرباط فهو إما بمعنى اسم مفعول أو اسم آلة .

الفوائـد :

١ ـ قصة موسى وفرعون :

نلخص هنا قصة موسى وفرعون كما رويت لطرافتها وكما جرينا عليه في هذا الكتاب ، فموسى معناه ماء وشجر لأن مو بالقبطية هو الماء وشا هو الشجر فعربت وسمي موسى لأنهم وجدوه بينهما ، وهو موسى بن عمران يمت بالنسبة الى يعقوب بن اسحق بن إبراهيم ولم يزل بنو إسرائيل من عهد يوسف تحت أيدي الفراعنة حتى كان فرعون الذي بعث موسى اليه ، ولم يكن منهـم فرعون أعتى منه ولا أطول عمراً وكان شديد الغلظة واسمه الوليد بن مصعب وكان قد اتخذ بني إسرائيل خولاً فصنف منهم يبنون ، وصنف يحرثون ومن لا عمل له وضف عليه الجزية ، فرأى في منامه أن ناراً أقبلت من المقدس فأحرقت القبط فسأل عن رؤياه فقيل له : يخرج من هذا البلد أي الذي جاء بنو اسرائيل منه رجل يكون على يديه هلاك مصر فأمر بقتل كل مولود حتى كاد يفنيهم فقيل له إنما هم خولك وإنك إن تفنهم ينقطع النسل فأمر بقتل الغلمان عاماً واستحيائهـم عاماً فولد هرون في السنة التي يستحيون فيها وولد موسى في السنة التي يقتلون فيهـا فلما وضعته حزنت فأوحى الله إليها أن ارضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم فعملت تابوتاً جعلته فيه وألقته في اليم وهو النيل وقالت لأخته قصيه فحمله الماء حتى أدخله بين أشجار متكاثفة تحت قصر فرعون فخرجت جواري فرعون يغتسلن فوجدن التابوت فأدخلنه الى آسية امرأة فرعون فلما رأته أحبته وأخبرت به فرعون فأراد ذبحه وخشي أن يكون المولود الذي حذر منه فلم تزل به آسية حتى تركه لها وذلك قوله « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا » وستأتي تتمة القصة .

٢ ــ لام العاقبة أو الصيرورة :

واللام في « ليكون » للعاقبة وقد أبرز مدخولها في معرض العلة لا لتقاطهم تشبيهاً له في الترتب عليه بالغرض الحامل له وتسمى **لام الصيرورة ولام المآل ، وقد أنكر البصريون لام العاقبة قال الزمخشري : « والتحقيق أنها لام العلة وأن التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لأنه لم يكن داعيهم الى الالتقاط أن يكون لهم عدواً وحزناً ولكن المحبة والتبني** ، غير أن ذلك لما كانت نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو الإكرام الذي هو نتيجة المجيء والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتأدب وتحريره أن هذه اللام حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد » .

٣ ــ أعاريب في « قرة أعين » :

تفادينا في هذا الكتاب إيراد الأعاريب المرجوحة بله المتهافتة لأننا آثرنا اختيار أفضل الوجوه وأمثلها ، غير أننا لا نرى إغفال بعض الأعاريب المتهافتة التي تبناها بعض المعربين ؛ فقد قلنا إن قرة أعين خبر مبتدأ مضمر ولي ولك صفتان ، وقد أجاز بعضهم وجهاً لا يجوز إيراده البتة وهو أن تكون قرة أعين مبتدأ والخبر جملة لا تقتلوه لأن فيه الإخبار بالانشاء عن الخبر وهذا هين بالنسبة لمخالفة الضمير لأنه يجب أن يقول لا تقتلوها واحتجوا بأنه لما كان المراد مذكراً ساغ ذلك، وما أغناها عن ذلك التمحّل الذي لا يليق بالقرآن، ونقل ابن الانباري بسنده الى ابن عباس انه وقف على « لا » أي هو قرة عين لي فقط

ولك لا ، أي ليس هو قرة عين ، ثم يبتدىء بقوله تقتلوه وهذا مضحك لا يمكن أن ينسب الى ابن عباس ولا إلى ابن الأنباري نفسه وكيف يبقى تقتلوه من غير نون رفع ولا مقتضى لحذفها ولذلك قال الفراء : هو لحن .

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾

الاعراب :

(ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لتتمة قصة يوسف بعد بلوغه الأشد ، ولما حينية أو رابطة وقد تقدم ذلك وبلغ فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وأشده مفعول به ، وقد مضى تفسير الأشد والأقوال فيه أكثر من مرة ، واستوى عطف على بلغ ،

والمراد انه انتهى شبابه وتكامل عقله ، وجملة آتيناه لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وآتيناه فعل ماض وفاعل ومفعول به أول وحكماً مفعول به ثان وعلماً عطف على حكماً وكذلك نعت لمصدر محذوف ونجزي المحسنين فعل مضارع وفاعل ومفعول به • (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) ودخل المدينة عطف على محذوف أي وغاب عن فرعون مدة طويلة لأنه أقام في مصر ثلاثين سنة ثم ذهب الى مدين وأقام فيها عشر سنين ، ودخل المدينة فعل وفاعل ومفعول على السعة، قيل المراد بالمدينة منف بضم فسكون وهي ممنوعة من الصرف للعلمية والعجمة وقيل غير ذلك ، وعلى حين غفلة حال من المدينة أو من فاعل دخل أي مختلساً ومن أهلها صفة لغفلة قيل كان الوقت بين العشاءين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد ومعنى « على » هنا الظرفية أي على حين • (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه) فوجد عطف على دخل وفيها متعلقان بوجد ورجلين مفعول به وجملة يقتتلان صفة لرجلين وهذا مبتدأ ومن شيعته خبر والجملة صفة ثانية لرجلين وقيل حال ، والحال من النكرة أجازه سيبويه من غير شرط ، وهذا من عدوه عطف عليها • والعرب تشير بهذا الى الغائب لأنها حكاية حال ماضية ، فعبر عن غائب ماض باسم الاشارة •

(فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) الفاء عاطفة واستغاثه فعل ماض ومفعول به والذي فاعل ومن شيعته متعلقان بمحذوف صلة واستغاث يتعدى بنفسه تارة كما هنا وتارة بالباء • (فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين) فوكزه عطف أيضاً أي دفعه بجمع كفه ، وقال الكسائي لكمه ، وموسى فاعل فقضى عليه عطف على فوكزه ، قال فعل ماض والجملة

مستأنفة وهذا مبتدأ ومن عمل الشيطان خبر والجملة مقول القول ، وجملة إنه عدو تعليل ، ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ ولكونه غير مقصود وإنما عدّه من عمل الشيطان وسماه ظلماً واستغفر منه هضماً لنفسه واستعظام الهنات اليسيرة التي تبدر منهم ، وان واسمها وعدو خبرها ومضل صفة ومبين صفة ثانية . (قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم) رب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وإن واسمها وجملة ظلمت نفسي خبر إن فاغفر لي الفاء عاطفة واغفر فعل دعاء ولي متعلقان باغفر فغفر له عطف وان واسمها وهو ضمير فصل والغفور خبر والرحيم خبر ثان ، ويجوز أن تعرب هو مبتدأ والغفور الرحيم خبران لهو والجملة خبر ان . (قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين) بما الباء حرف قسم وجر وجواب القسم محذوف تقديره أقسم بإنعامك عليّ بالمغفرة لأتوبن ، وما مصدرية والمصدر في محل جر بباء القسم والفاء عاطفة على الجواب المحذوف ولن حرف نفي ونصب واستقبال وأكون فعل مضارع ناقص واسمها مستتر تقديره أنا وظهيراً خبرها وللمجرمين متعلقان بظهيراً ويجوز أن يكون الكلام استعطافاً كأنه قال رب اعصمني بحق ما أنعمت علي من الكفرة فلن أكون إن عصمتني ظهيراً للمجرمين فتتعلق الباء ومدخولها باعصمني المقدر ولا تحتاج الى جواب وتكون الفاء في فلن أكون هي الفصيحة لأنها جواب شرط مقدر كما ذكرنا ، هذا وهناك أقوال أخرى كلها سديدة موعدنا بها باب الفوائد .

الفوائد :

١ ـ تتمة قصة موسى :

واتخذه فرعون ولداً وارتادوا له المرضعات فلم يقبل ثدي

واحدة منهن ولما غاب أمره عن أمه كاد قلبها يطير وجداً عليه فبعثت أخته كأنها تلتمس رضاعه فلما رأت أسفهم عليه حيث لم يقبل على مرضعة قالت : هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم فأجابوا ملتمسها فذهبت فجاءت بأمه وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها فأعطته ثديها فأخذ يرضعه فربته في قصر فرعون ثم عرضته آسية على فرعون فلما أخذه مد موسى يده إلى لحيته فنتفها فقال فرعون عليّ بالذباحين فإنما هو هذا فقالت آسية هو قرة عين لي ولك لاتقتلوه فإنه صبي لا يعقل ودعت له بجمر وياقوت فطرح جبريل يده في النار فوضعها موسى في فمه فأحرقته فتركه فرعون فكبر في حجره فلما ترعرع تبناه فكان يركب مراكبه ويلبس ملابسه ويدعى ابن فرعون ، ثم ان موسى أخبر أن فرعون قد ركب فركب أثره فأدركه ببلدة منف فدخلها وقد أخليت لفرعون وليس في طرقها أحد فرأى إسرائيلياً مع قبطي يقتتلان فاستغاثه الاسرائيلي فوكز القبطي فقضى عليه فكان من قصتهما ما قص الله تعالى في سورة القصص حتى خرج خائفاً يترقب الى مدين وستأتي البقية قريباً .

٢ ــ اختلاف المعربين في « بما أنعمت عليّ » :

أوردنا الوجهين الراجحين في إعراب هذه الآية وهي « قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين » وقد اختارهما الزمخشري أيضاً قال : « وأراد بمظاهرة المجرمين إما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون وأما مظاهرة من أدت مظاهرته الى الجرم والإثم كمظاهرة الاسرائيلي المؤدية الى القتل الذي لم يحل له »

وكذلك اختارهما أبو البقاء في كتابه « إعراب القرآن » وقيل ليس هذا خبراً بل هو دعاء أي فلا أكون بعد هذا ظهيراً أي فلا تجعلني يا رب ظهيراً للمجرمين .

فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ۚ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (١٨) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (١٩) وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١)

الاعراب :

(فأصبح في المدينة خائفاً يترقب) الفاء عاطفة وأصبح فعل ماض ناقص أو تام وعلى الاول اسمها مستتر تقديره هو وفي المدينة حال وخائفاً خبر أصبح أو في المدينة خبر أصبح وخائفاً حال ، وعلى الثاني يكون فاعل أصبح مستتراً تقديره هو وفي المدينة متعلقان به وخائفاً حال وجملة يترقب على الوجهين حال ثانية أو خبر ثان أو حال من الضمير في خائفاً فتكون حالاً متداخلة ومفعول يترقب محذوف أي

يترقب المكروه ويبعد أن يترقب الفرج لأن السياق يستبعده • (فإذا الذي استنصره بالامس يستصرخه) الفاء عاطفة وإذا فجائية وقد تقدم القول في ظرفيتها أو حرفيتها والذي مبتدأ وجملة استنصره صلة وبالامس متعلقان باستنصره وجملة يستصرخه خبر الذي ومتعلق يستصرخه محذوف أي على قبطي آخر • (قال له موسى إنك لغوي مبين) قال فعل ماض وله متعلقان به وموسى فاعل وانك إن واسمها واللام المزحلقة وغوي مبين خبران لإن • (فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما) الفاء عاطفة ولما حينية أو رابطة وأن زائدة وتطرد زيادتها بعد لما وقبل لو مسبوقة بقسم كقول الشاعر :

فأقسم أن لو التقينا وأنتم لكان لكم يوم من الشر مظلم

وإنما زاد « أن » للاشعار بأن موسى لم تكن مسارعته الى قتل الثاني كما كانت مسارعته الى قتل الأول بل كان عنده إبطاء في بسط يده إليه فعبر القرآن عن ذلك الابطاء بزيادة أن وقد تقدم في سورة يوسف ما يماثل هذا في قوله تعالى « فلما أن جاءه البشير ألقاه على وجهه » فجدد به عهداً •

وأراد فعل ماض وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول أراد وبالذي متعلقان بيبطش وهو مبتدأ وعدو خبر ولهما صفة والجملة صلة الذي • (قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس) قال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الاسرائيلي المستغيث قال ذلك وقد ظن أن موسى يريد أن يبطش به ، وقيل يعود على القبطي وليس ببعيد ورجحه زاده في حاشيته على البيضاوي ، وكأنه توهم من زجر موسى الاسرائيلي انه هو الذي قتل الرجل بالأمس ، أتريد

الهمزة للاستفهام الانكاري وتريد فعل مضارع مرفوع وان ومافي حيزها مفعول تريد وكما قتلت نعت لمصدر محذوف وقد تقدمت له نظائر ونفساً مفعول به وبالأمس متعلقان بقتلت • (إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين) إن نافية وتريد فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره أنت وإلا أداة حصر وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول تريد وجباراً خبر تكون وفي الأرض صفة لجباراً وما تريد أن تكون من المصلحين عطف على الجملة المماثلة السابقة • (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) الواو عاطفة على محذوف يقدر من سياق الكلام أي فذهب القبطي الذي سمع ما قاله الإسرائيلي وقد علم أن موسى هو قاتل القبطي الأول إلى فرعون وأخبره بجلية الأمر فغضب فرعون وأمر بقتل موسى وإلقاء القبض عليه • وجاء رجل فعل وفاعل وهو مؤمن من آل فرعون وردت الإشارة إليه في مكان آخر من القرآن قيل هو ابن عم فرعون ومن أقصى المدينة صفة لرجل وجملة يسعى صفة ثانية أو حال لأن قوله « رجل » تخصص بالوصف كما هي القاعدة المشهورة ، ويجوز تعليق من أقصى المدينة بجاء فتكون جملة يسعى صفة فقط • (قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين) إن الملأ إن واسمها وجملة يأتمرون خبر وبك متعلقان بيأتمرون أي يتشاورون والائتمار التشاور يقال : الرجلان يتآمران ويأتمران بمعنى واحد لأن كل واحد فيهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر وقيل معناه يأمر بعضهم بعضاً بقتلك ولعل هذا أوضح وقد أورد صاحب التاج المعنيين قال : « ائتمروا وتآمروا : تشاوروا وائتمروا بفلان هموا به وأمر بعضهم بعضاً بقتله » وبك متعلقان بيأتمرون وليقتلوك اللام تعليلية والمضارع منصوب بأن مضمرة بعدها،

فاخرج الفاء الفصيحة أي إن سمعت نصيحتي فاخرج وإني تعليل لأمره بالخروج وإن واسمها ولك متعلقان بمحذوف حال وعليه اقتصر الزمخشري ومنع تعليقه بالناصحين وأجاز غيره. أن يتعلق بالناصحين للاتساع في الظروف أو بما يدل عليه لفظ الناصحين أي ناصح لك من جملة الناصحين • (فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين) الفاء عاطفة على محذوف أي فعمل موسى بنصيحته فخرج ومنها متعلقان بخرج وخائفاً حال وجملة يترقب حال ثانية ومفعول يترقب محذوف أي الشر أو لحوقهم به وقيل يترقب غوث الله والأول أنسب بالسياق ورب منادى ونجني فعل دعاء والياء مفعول به ومن القوم متعلقان بنجني والظالمين صفة •

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾

اللغـــة :

(تلقاء) : تقدم ذكر المصادر التي وردت على هذا الوزن والمعنى هنا الجهة .

(مدين) : بلدة في مصر تقع على بحر القلزم محاذية لتبوك فيها البئر التي استقى منها موسى ومدين اسم قبيلة ذكرها ياقوت ، قال الجلال : « وهي قرية شعيب مسيرة ثمانية أيام من مصر سميت بمدين ابن ابراهيم ولم يكن يعرف طريقها » .

(سواء السبيل) : وسطـه ومعظـم نهجـه من إضافة الصفة للموصوف أي الطريق الوسط .

(تذودان) : تدفعان أغنامهما عن الماء . ومنه قول الشاعر :

أبيـــت عـلى باب القوافي كأنمـــا

أذود بهـــا سرباً من الوحش نزّعـــا

(ما خطبكمـا) : ما شأنكما قـــال الزمخشري : « وحقيقته ما مخطوبكما أي مطلوبكما من الذياد فسمى المخطوب خطباً كما سمي المشئون شأناً في قولك ماشأنك؟ يقال شأنت شأنه أي قصدت قصده » وفي القاموس وشرحه « الخطب مصدر والشأن يقال : ما خطبك ؟ أي ما شأنك وما الذي حملك عليه والخطب : الأمر صغر أو عظم وغلب استعماله للأمر العظيم المكروه » ولهذه المادة معان كثيرة يرجع اليها في المعاجم المطولة ولكثرتها نظم بعضهم هذه المعاني بقوله :

ومرّة الوعظ تسمى خُطبة ثم التماسٌ للنكاح الخِطبة

وما به ُيخطب فهو الخُطبه

وحُمْرة أي في سواد الشعر

فحمرة في كُدرة تدعى خَطَبْ

وخِطبة النكاح جمعها ِخطَبْ

وجمع خطبة بمنبر خُطَبْ

والخطب سهل أي سبيل الأمر

فالأمر مع صرف الزمان خطْبُ

والخِطبة الخاطبُ كلٌّ ِخطْبُ

جمع لأخْطَب وخطبا خُطْبُ

في كل ذي اختلاف لون يجري

وفي الوعظ قل وفي النكاح خَطَبا

نعم وفي كُدرة لون خَطِبا

وإن ترد صار خطيبا خَطُبا

أتى بسجع في الكلام النثر

(يصدر الرعاء) : الصدر عن الشيء : الرجوع عنه ، يقال في فعله صدر من باب نصر وضرب ، والصَدَر بفتحتين اسم مصدر منه

ويتعدى بنفسه فيقال صدره غيره أي رجعه أي رده ، ويستعمل رباعياً فيقال أصدره غيره . والرعاء : جمع راع على غير القياس لأن فاعلاً الوصف المعتل اللام كقاض قياسه فعلة كقضاة ورماة خلافاً للزمخشري في قوله إنه جمع راع على فعال قياس كصيام وقيام ، أما جمع فعال فيطرد في ستة أنواع نوردها فيما يلي :

١ ــ اسم أو صفة ليست عينهما ياء على وزن فَعْل أو فَعْلَة، فالاسم ككعب وكعاب وثوب وثياب ونار ونيار وقصعة وقصاع وجنة وجنان ، والصفة كصعب وصعبة وصعاب وضخم وضخمة وضِخام ، وندر مجيئه من معتل العين : كضيعة وضياع وضيف وضِياف .

٢ ــ اسم صحيح اللام غير مضاعف على وزن فَعَل أو فَعَلة كجمل وجمال وجبل وجبال ورقبة ورقاب وثمرة وثمار .

٣ ــ اسم على وزن فِعْل كذئب وذئاب وظل وظلال وبئر وبئار .

٤ ــ اسم على وزن فُعْل ليست عينه واواً ولا لامه ياء كرمح ورماح وريح ورياح ودهن ودهان ، وأما الدهان في قوله تعالى : « فكانت وردة كالدهان » فسيأتي انه اسم مفرد ومعناه الجلد الأحمر .

٥ ــ صفة صحيحة اللام على وزن فعيل أو فعيلة ككريم وكريمة وكرام ومريض ومريضة ومراض وطويل وطويلة وطوال .

٦ ــ صفة على وزن فَعْلان أو فعْلى أو فَعْلانة أو فُعْلانة كعطشان وعطشى وعطاش وريان وريا ورِواء ونَدْمان ونَدْمى ونِدام وخُمصان وخُمصانة وخِماص .

وما جمع على فِعال من غير ما ذكر فهو على غير القياس وذلك كراع وراعية ورعاء وقائم وقائمة وقيام وصائم وصائمة وصيام وأعجف وعجفاء وعجاف وخيّر وخيار وجيّد وجِياد وجواد وجياد وأبطح وبِطاح وقلوص وقلاص وأنثى وإناث ونُطفة ونِطاف وفصيل وفِصال وسبُع وسباع وضبع وضباع ونُفَساء ونفاس وعشراء وعِشار .

هذا ولا ندري كيف ند هذا عن الزمخشري فقال في كشافه : « وأما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام » .

(استحياء) : الاستحياء والحياء الحشمة والانقباض والانزواء قال في المصباح : « يقال استحيت بياء واحدة وبياءين ويتعدى بنفسه وبالحرف فيقال استحيته واستحيت منه » .

(القصص) بفتحتين : مصدر بمعنى المقصوص وقد سمي به فيما بعد المقصوص يقال قص عليه الخبر حدثه به ومصدره قَصَص بفتحتين أما القصص بكسر القاف فهو جمع قصة .

الاعراب :

(ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) الواو استئنافية ولما حينية أو رابطة وتوجه فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وتلقاء مدين ظرف مكان متعلق بتوجه وتلقاء يستعمل مصدراً واسماً للقاء ومكاناً له وقد ذكرنا فيما مضى أن لدينا عشرة مصادر أتت مخالفة فجاءت بكسر أولها ، وجعله شارح القاموس اسماً للمصدر فقال تعليقاً على القاموس « قوله والاسم التلقاء أي اسم

المصدر ولكن يعكر عليه قوله ولا نظير له غير التبيان إذ لم يقل أحد بأن التبيان اسم مصدر بل هو مصدر نادر » وعبارة المحكم : « التلقاء اسم مصدر لا مصدر وإلا لفتحت التاء وقيل مصدر لا نظير له غير التبيان » ومدين مضاف إليه ومنعت من الصرف للعلمية والتأنيث وجملة قال لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وعسى فعل ماض جامد من أفعال الرجاء وربي اسمها وان وما في حيزها خبرها وسواء السبيل مفعول ثان أو منصوب بنزع الخافض • (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون) وجد فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وعليه متعلقان بوجد لأن وجد بمعنى لقي وأمة مفعول به أي جماعة كثيفة ومن الناس صفة لأمة وجملة يسقون صفة ثانية أو حال ومفعول يسقون محذوف للعلم به أي مواشيهم • (ووجد من دونهم امرأتين تذودان) ووجد عطف على وجد الأولى ومن دونهم متعلقان بوجد أيضاً أي في مكان أسفل منهم ، وامرأتين مفعول به أول وجملة تذودان صفة لامرأتين • (قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير) ما اسم استفهام مبتدأ وخطبكما خبر والجملة مقول القول ، قالتا فعل ماض والتاء تاء التأنيث الساكنة وحركت بالفتح لمناسبة ألف التثنية والألف فاعل وجملة لا نسقي مقول قولهما وحتى حرف غاية وجر ويصدر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والرعاء فاعل والواو حالية وأبونا مبتدأ وشيخ خبر وكبير صفة وسيأتي في باب البلاغة سر الجملة الحالية • (فسقى لهما ثم تولى الى الظل) الفاء عاطفة على محذوف مقدر يفهم من سياق الكلام وسقى فعل ماض ولهما متعلقان به والمفعول به محذوف أي غنمهما لأجلهما ، ثم حرف عطف وتولى فعل ماض والى الظل متعلقان بتولى أي الى ظل شجرة كانت هناك • (فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير) رب منادى

وان واسمها ولما اللام حرف جر وما نكرة بمعنى شيء أو اسم موصول أي لأي شيء أو للذي أنزلت والجار والمجرور متعلقان بفقير وأنزلت فعل وفاعل والجملة إما صفة لما إن كانت نكرة أو صلة وإليّ متعلقان بأنزلت ومن خير حال وفقير خبر إن وعدي فقير بحرف الجر لأنه ضمن معنى سائل أو طالب وإلا فهو يتعدى بإلى .

(فجاءته إحداهما تمشي على استحياء) الفاء عاطفة على محذوف يفهم من سياق الكلام أي فرجعتا الى أبيهما في زمن أقل مما كانتا تستنزفانه في السقي فسألهما عن سبب ذلك فأخبرتاه بقصة من سقى لهما فقال لإحداهما ادعيه لي فجاءته ، وإحداهما فاعل وجملة تمشي حال من الفاعل وعلى استحياء حال من الفاعل المضمر في تمشي أي مستحيية خفرة وقيل واضعة كم درعها على وجهها حياء منه . (قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) إن واسمها وجملة يدعوك خبر وليجزيك اللام للتعليل ويجزيك فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بيدعوك والكاف مفعول به أول وأجر مفعول به ثان وما مصدرية وهي وما بعدها في تأويل مصدر مضاف لأجر أي أجر سقايتك ولنا متعلقان بسقيت . (فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) الفاء عاطفة على محذوف والتقدير فأجابها لا ليأخذ الأجر ولكن لأجل التبرك بأبيها لما سمع منهما انه شيخ كبير ، فمشت أمامه فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقيها أو ألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها : امشي خلفي ودليني على الطريق ففعلت الى أن دخل عليه فلما جاءه وقص عليه ، قص فعل ماض وعليه متعلقان بقص والقصص مفعول به وجملة قال لا محل لها ولا ناهية وتخف فعل مضارع مجزوم

بلا ونجوت فعل وفاعل ومن القوم متعلقان بنجوت والظالمين صفة وإنما هدأ روعه وطمأنه لأن مدين لم تكن في سلطان فرعون •

البلاغـة :

١ ــ الإيجاز :

كثر الإيجاز في هذه الآيات فقد حـذف المفعول به في أربعـة أماكن أحدها مفعول يسقون أي مواشيهم والثاني مفعول تذودان أي مواشيهمـا والثالث لا نسقي أي مواشينا والرابع فسقى لهمـا أي مواشيهما وعلة الحذف أن الغرض هو أن يعلم انه كان من الناس سقي ومن البنتـين ذود وأنهما قالتا لا نسقي أي لا يكون منا سقي حتى يصدر الرعاء وانه كان من موسى سقي فأما كون المسقي غنماً أو إبلاً أو غير ذلك فذلك أمر خارج عن نطاق الغرض •

٢ ــ الكناية :

في قوله « وأبونا شيخ كبـير » فقـد أرادتا أن تقولا له : إننا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مزاحمة الرجال ومالنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ طاعن في السن قد أضعفه الكبر وأعياه فلا مندوحة لنا عن ترك السقيا وارجائها الى أن يقضي الناس أوطارهـم من الماء وبذلك طابق جوابهما سؤاله لأنه سألهما عن علة الذود فقالتا ما قالتاه وإنما ساغ لنبي الله شعيب أن يرضى لابنتيه بامتهان سقيا الماشية على ما فيها من تبـذل واطراح حشمة لأن الضرورات تبيـح المحظورات مـع أن الأمر في حـد ذاته ليس بمحظور فالدين لا يأباه

والعادات متباينة ومذهب أهل البدو غير مذهب أهل الحضر خصوصاً إذا كانت الحالة حالة ضرورة .

٣ ـ الإشارة :

وذلك في قوله « على استحياء » فقد أشار بلمح خاطف يشبه لمح الطرف وبلغة هي لغة النظر إلى وصف جمالها الرائع الفتان باستحياء لأن الخفر من صفات الحسان ولأن التهادي في المشي من أبرز سماتهن، قال الأعشى :

كأن مشيتها من بيت جارتها
مر السحابة لا ريث ولا عجل

وأبدع ابن الرومي ما شاء له الابداع إذ قال :

جرت تدافع من وشي لها حسن
تدافع الماء في وشي من الحبب

وان رمق سماء امرىء القيس بقوله :

سموت اليها بعد ما نام أهلها
سمو حباب الماء حالاً على حال

وعمر بن أبي ربيعة في رائيته البديعة :

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت
مصابيح شبت بالعشي وأنور

وغـــاب قمـــير كنت أرجو غيابـه
وروّح رعيّـــان وهـــوّم سمـــر

وخفضـ عـني الصوت أقبلـت مشية
الحبـاب وركني خيفـــة القوم ازور

قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

الاعراب :

(قالت إحداهما يا أبت استأجره) قالت احداهما فعل وفاعل وهي الكبرى التي تزوجهـا موسى فيما بعـد ، ويا أبت تقدم إعرابه كثيراً واستأجره فعل أمر وفاعل ومفعول به (إن خير من استأجرت القوي الأمين) الجملة لا محل لها لأنها تعليل للأمر قبلها وسيأتي معنى هذا الكلام الجامع المانع في باب البلاغة ، وإن واسمها ومضاف إليه وجملة استأجرت لا محل لها لأنها صلة الموصول والقوي خبر أول

والأمين خبر ثان . (قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين) إن واسمها وجملة أريد خبرها والجملة مقول القول وأن أنكحك في تأويل مصدر مفعول أريد وفاعل أنكحك ضمير مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به أول وإحدى ابنتي مفعول به ثان وابنتي مضاف لإحدى وهاتين صفة لابنتي والاشارة لتمييزها من بين بقية اخواتهما فقد كان له كما يروى سبع بنات . (على أن تأجرني ثماني حجج) على حرف جر دخل على أن وما يليها والجار والمجرور متعلقان بمحذوف في موضع الحال إما من الفاعل أو من المفعول أي مشروطاً عليّ أو عليك ذلك وتأجرني فعل مضارع من أجرته إذا كنت له أجيراً كقولك أبوته أي كنت له أباً ومفعول تأجرني الثاني محذوف أي نفسك وثماني حجج ظرف لتأجرني وحجج أعوام ، وتكلف الزمخشري وجهاً ما أدري كيف استقام له وهو أن يكون ثماني مفعولاً ثانياً لتأجرني ، وقد احتاج الى تقدير مضاف أي رعي ثماني حجج ولا داعي لهذا التكلف ، هذا فضلاً عن أن المعنى لا يستقيم معه لأن العمل هو الذي تقع به الإثابة لا الزمان فكيف يوجه الاجارة على الزمان ؟

(فإن أتممت عشراً فمن عندك) الفاء عاطفة وإن شرطية وأتممت فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وعشراً مفعول به والفاء رابطة للجواب لأنه جملة اسمية ومن عندك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف أي فالتمام من عندك وليس في الأمر إلزام وتحتيم. (وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين) الواو عاطفة وما نافية وأريد فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنا وأن وما في حيزها مفعول أريد وعليك متعلقان بأشق ، ستجدني فعل مضارع مرفوع والفاعل مستتر تقديره أنت والنون للوقاية والياء مفعول به

وجملة إن شاء الله اعتراضية لا محل لها وجواب ان محذوف ومن الصالحين متعلقان بتجدني ومعنى أشق عليك أجعل الأمر صعباً ، قال الزمخشري : « فإن قلت : ما حقيقة شققت عليه وشق عليه الأمر ؟ قلت : حقيقته ان الأمر إذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وتارة لا أطيقه » وسيأتي مزيد من ذلك في باب البلاغة .
(قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل) ذلك مبتدأ وبيني وبينك خبره أي ذلك الذي عاهدتني وشارطتني عليه قائم وثابت بيننا لا نحيد عنه كلانا ، وأيما الأجلين : أي اسم شرط جازم في محل نصب مفعول مقدم لقضيت وما زائدة للإبهام وسيأتي بحث مستفيض عن أي في باب الفوائد وقيل ان « ما » نكرة بمعنى شيء والأجلين بدل منها وقضيت فعل وفاعل والفاء رابطة للجواب ولا نافية للجنس وعدوان اسمها المبني على الفتح وعلي خبر لا والله مبتدأ وعلى ما نقول متعلقان بوكيل ووكيل خبر الله .

البلاغة :

١ ـ الكلام الجامع المانع :

في قوله تعالى : « إن خير من استأجرت القوي الأمين » في هذه الآية فنون عديدة ولذلك أطلق عليها علماء البلاغة أنها من الكلام الجامع المانع الحكيم الذي لا يزاد عليه لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان في القائم بأمرك والمتعهد لشئونك وهما الكفاية والأمانة فقد فرغ بالك وتم أمرك وسهل مرادك ، ولأنه ذهب مذهب المثل المضروب ليذهب في مرّ العصور وقادمات الدهور ، وفيه التعميم

الذي هو أجمل وأليق في مدح النساء للرجال من المدح الخاص وأبقى للتحشم والتصوّن وخصوصاً بعد أن فهمت غرض أبيها وهو تزويجها منه وقد كان عمر بن الخطاب يعجب بهذا التعبير ويرمق سماءه في دعائه فيقول: « أشكو الى الله ضعف الأمين وخيانة القوي ».

وهذا الإيهام من ابنة شعيب قد سلكته زليخا مع يوسف ولكن شتان ما بين الحياء المجبول والحياء المستعمل ، ليس التكحل في العينين كالكحل حيث قالت : « ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم » وهي تعني ما جزاء يوسف مما أرادني من السوء إلا أن تسجنه أو تعذبه عذاباً أليماً ، ولكنها أوهمت زوجها الحياء والخفر وأن تنطق بالعصمة منسوباً إليها الخنا إيذاناً منها بأن هذا الحياء منها الذي يمنعها أن تنطق بهذا الأمر من مراودة يوسف بطريق الأحرى والأولى ، ففي هذه الآية كما رأيت الايجاز والمثل والتعميم والإيهام وفيها أيضاً التقديم فقد قدم ما هو أولى بالتقديم وجعل اسماً لـ « إن » وهو خير وورد بلفظ الفعل الماضي للدلالة على أن الأمر ليس بدعاً وانه معروف مبتوت فيه قد جرب وتعورف • ومن التقديم البديع قول أبي الشغب العبسي يتحزّن على خالد بن عبد الله القسري حين أسره يوسف بن عمرو •

ألا إن خير الناس حياً وهالكاً
أسير ثقيف عندهم في السلاسل

لعمري لئن عمرتم السجن خالداً
وأوطأتموه وطأة المتثاقل

لقـــد كان نهّاضاً بكـــل ملمـــة

ومعطي اللهى غمراً كثـــير النوافـــل

وخير الناس اسم تفضيل مضاف الى المعرف بأل وهو اسم إن وحياً وهالكاً حالان منـه وأسير ثقيف خبر إن ، وثقيف علم القبيلة والعلم أعرف من المحـلى بأل فخبر إن المضاف اليه أعرف من اسمهـا المضاف المحلّى بأل وقد قدم الاسم للاهتمام به ، وعندهم في السلاسل حال أو خبر بعد خبر ، ولعمري قسم إن عمرتم أي أدخلتم وأسكنتم خالداً السجن وأوطأتموه أي صيرتموه يطـأ الأرض برجله كوطـأة المتثاقل أي الحامل لشيء ثقيل لجعـل القيد في رجليه فهو كناية عن ذلك ، لقد كان نهاضاً جواب القسم وجواب الشرط محذوف أي كان سريع القيام بكل نازلة ثقيلة وكان معطى اللهى بالفتح جمع لهاة كحصى وحصاة أي اللحمة في أقصى الفم لكنها هنا بمعنى الفم نفسه ويجوز أن يكون اللهى بضم اللام جمع لهوة كغرف وغرفة بمعنى العطية من أي نوع كانت .

٢ ــ الايجاز :

وفي قوله « وما أريد أن أشق عليك » إيجاز بليغ فقد ذكرنا معنى شق عليه الأمر وانه مترجح بين اليأس والرجاء ، وفيه إيماء الى أولئك المعاسرين الذين يكلفون عمالهـم أعمالاً تربو عـلى طوقهم وتتجاوز حدود قدرتهم المعهودة ، وعلى هذا درجت الشرائع في حسن المعاملة والأخذ بالأسهل والأيسر ومنه الحديث « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي فكان لا يداري ولا يشاري ولا يماري » .

الفوائـــد :

« أيّ » المشددة :

تأتي « أيّ » المشددة على خمسة أوجه :

١ ـ أن تكون شرطاً نحو « أيما الأجلين قضيت » وقد تزاد ما بعدها للتوكيد .

٢ ـ أن تكون استفهامية : « أيكم زادته هذه إيماناً » .

٣ ـ موصولة : « ثم لننزعنّ من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً » .

٤ ـ أن تكون دالة على معنى الكمال فتقع صفة للنكرة نحو زيد رجل أي رجل أي كامل في صفات الرجال وحالاً من المعرفة كمررت بعبد الله أي رجل ، قال أبو العتاهية وقد وردت صفة :

إن الشباب والفراغ والجده   مفسدة للمرء أي مفسده

٥ ـ أن تكون وصلة الى نداء ما فيه أل نحو يا أيها الرجل .

هذا وقد أورد صاحب المغني بيتاً لأبي الطيب فيه « أي » وهو :

أي يوم سررتني بوصـال   لـم ترعني ثلاثة بصـدود

وقال : « ليست فيه أي موصولة لأن الموصولة لا تضاف إلا إلى المعرفة ، قال أبو علي في التذكرة في قوله :

آرأيت أي سوالف وخـدود برزت لنا بـين اللوى فزرود

لا تكون أي فيه موصولة لإضافتها الى نكرة » وتابع صاحب المغني كلامـه فقـال : ولا شرطية لأن المعنى حينئذ إن سررتني يوماً بوصالك آمنتني ثلاثة أيام من صدودك ، وهـذا عكس المعنى المراد وإنما هي للاستفهام الذي يراد به النفي كقولك لمن ادعى أنه أكرمك : أي يوم أكرمتني ؟ والمعنى ما سررتني يوماً بوصالك إلا روعتني ثلاثة بصدودك ، والجملة الأولى مستأنفة قدم ظرفها لأن له الصدر والثانية اما في موضع جر صفة لوصال على حذف العائد أي لم ترعني بعده كما حذف في قوله تعالى : « واتقوا يوماً لا تجزي نفس » الآية ، أو نصب حالاً من فاعل سررتني أو مفعوله والمعنى أي يوم سررتني غير رائع لي أو غير مروع منك وهي حال مقدرة مثلهـا في « طبتم فادخلوها خالدين » أو لا محل لها على أن تكون معطوفة على الأولى بفاء محذوفة كما قيل في « وإذ قـال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا : أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله » وكذا في بقية الآية وفيه بُعد ، والمحققون في الآية على أن الجمل مستأنفة بتقدير : فما قالوا له ؟ فما قال لهم ؟ ومن روى ثلاثةٌ بالرفع لم يجز عنده كون الحال من فاعل سررتني لخلو ترعني من ضمير ذي الحال .

وقال أبو البقاء العكبري في شرحه لديوان المتنبي : « أي نصب وهو استفهام خرج مخرج النفي كما تقول لمن يدعي أنه أكرمك : أي يوم أكرمتني قط كما قال الهذلي :

إذهب فـأي فتى في الناس أحـرزه

من حتفه ظُلَـم دُعْجٌ ولا جبـل

ولا يجوز أن تكون « أي » شرطية تتعلق الجملة بالجملة تعلق الجزاء بالشرط ، وإذا حملته على الشرط كان مناقضاً للمعنى الذي أراده فكأنه يقول : إن سررتني يوماً بوصالك أمنتني ثلاثة من صدودك وهذا عكس مراده .

وهذا البيت من جملة أبيات غزلية استهل بها أبو الطيب قصيدة قالها في صباه ونورد هنا الأبيات الغزلية لنفاستها ونعرب بعض ما فيه فائدة منها :

كم قتيل كما قتلت شهيد ببياض الطّلى وورد الخدود
وعيون المها ولا كعيون فتكت بالمتيم المعمود
درّ درُّ الصّبا أأيام تجرير ذيولي بدار أثلة عودي
عمرك الله هل رأيت بدوراً طلعت في براقع وعقود
راميات بأسهم ريشها الهدب تشقُّ القلوب قبل الجلود
يترشّفن في فمي رشفات هن فيه أحلى من التوحيد
كلُّ خمصانةٍ أرقّ من الخمر بقلبٍ أقسى من الجلمود
ذات فرع كأنما ضُرب العنبر فيه بماء ورد وعود
حالك كالغداف مثل دجوجيّ أثيثٍ جَعْد بلا تجعيد
تحمل المسك عن غدائرها الريح وتفترّ عن شتيت برود
جمعت بين جسم أحمد والسقم وبين الجفون والتسهيد
أهلُ ما بي من الضنى بطل صيد بتصفيف طرّة وبجيد

كلّ شيء من الدمـاء حرام شربه ما خـلا دم العنقود

فاسقنيها فدىً لعينيك نفسي من غزال وطـارفي وتليـدي

شيب رأسـي وذلتي ونحولي ودموعي على هواك شهودي

أي يوم سررتني ... (البيت)

إعراب بعض الكلمات :

(كم) خبرية وتمييزها مجرور بالاضافة إليها أو بمن وقد تقدم القول فيها مطولاً وهي هنا في محل رفع مبتـدأ خبره ببياض ، وكما فتلت نعت لمصدر محذوف ، هـذا ولهم في العشق حديث طويـل ، وخبره عند أرباب التصوف معقول قال الجنيد: « العشقة ألفة رحمانية وإلهام شوقي أوجبهما كرم الله عـلى كل ذي روح لتحصل به اللـذة العظمى التي لا يقدر على مثلهـا إلا بتلك الألفـة وهي موجودة في الأنفس مقدرة مراتبها عند أربابها فما أحد إلا عاشق لأمر يستدل به على قدر طبقته من الخلق ولأجل ذلك كان أشرف المراتب في الـدنيا مراتب الذين زهدوا فيها مع كونها معاينة ومالوا الى الآخرة مع كونها مغيبة عنهم » وقد وصف الله تعـالى نفسه بالحب فقـال : « يحبهم ويحبونه » وقد تقدم القول فيه مطولاً ، وأما العشق فلم يرد في لسان الشرع ، وقال الفضيل بن عياض كلاماً جميلاً منه : « لو رزقني الله تعالى دعوة مجابة لدعوته تعالى أن يغفر للعشاق لأن حركاتهم اضطرارية لا اختيارية ، وما أحسن قول أبي فراس الحمداني :

وكـم في الناس من حسن ولكـن

عليك لشقوتي وقـع اختيـاري

وقال رجل من العرب لبعض بني عذرة : ما لأحدكم يموت عشقاً في هوى امرأة ألفها وليس ذلك إلا ضعف نفس أو خور تجدونه، يا بني عذرة فقال : أما والله لو رأيتم الحواجب الزّجّ ، فوق النواظر الدعج ، تحتها المباسم الفلج ، لاتخذتموها اللات والعزى » هذا وقد استند أبو الطيب في قوله « شهيد » الى حديث يروونه وهو : « إن من عشق وعف وكتم فمات مات شهيداً » .

(عمرك الله) : مصدر يقال : أطال الله عُمرك وعَمرك بالضم والفتح وهما وإن كانا مصدرين بمعنى إلا أنه استعمل أحدهما في القسم وهو المفتوح العين فإذا أدخلت عليه لام الابتداء رفعته بالابتداء والخبر محذوف والتقدير لعمر الله قسمي فإن لم تأت باللام نصبته نصب المصادر وقلت عمر الله ما فعلت كذا وعمرك الله ما فعلت كذا فكأنك قلت بتعميرك الله أي باقرارك له بالبقاء ، ومنه قول عمر ابن أبي ربيعة :

أيها المنكح الثّريا سهيلاً ... عمرك الله كيف يلتقيان

يريد سألت الله أن يطيل عمرك وهو في قول أبي الطيب مصدر ومعناه : سألت الله أن يعمرك تعميراً .

(أحلى من التوحيد) قال الواحدي : « كنّ يمصصن ريقي لحبهنّ إياي فكانت الرشفات في فمي أحلى من كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله وهذا إفراط وتجاوز حد » .

قال ابن القطاع : ذهب كثير من الناس الى أن لفظة أفعل من كذا توجب تفضيل الأول على الثاني في جميع المواضع وذلك غلط والصحيح أن أفعل يجيء في كلام العرب على خمسة أوجه :

أحدها : أن يكون الأول من جنس الثاني ولم يظهر لأحدهما حكم يزيد على الأول به زيادة يقوم عليها دليل من قبل التفضيل فهذا يكون حقيقة في الفضل لا مجازاً وذلك كقولك زيد أفضل من عمرو وهذا السيف أصرم من هذا •

والثاني : أن يكون الأول من جنس الثاني أو قريباً منه ومحتملاً للحاق به وقد سبق للثاني حكم أوجب له الزيادة بالدليل الواضح فهذا يكون على المقاربة في التشبيه لا التفضيل نحو قولك الأمير أكرم من حاتم وأشجع من عمرو ، وبيت المتنبي من هذا القبيل أي يترشفن من فمي رشفات هنّ قريب من التوحيد •

والثالث : أن يكون الأول من جنس الثاني أو قريباً منه والثاني دون الاول فهــذا يكون على الإخبــار المحض نحو قولك : الشمس أضوأ من القمر والأسد أجرأ من النمر •

والرابع : أن يكون الأول من غير جنس الثاني وقد سبق للثاني حكم أوجد له الزيادة واشتهر الأول من جنسه بالفضيلة فيكون هذا على سبيل التشبيه المحض والغرض أن يحصل للأول بعض ما يحصل للثاني نحو قولك : زيد أشجع من الأسد وأمض من السيف •

والخامس : أن يكون الأول من غير جنس الثاني والأول دون الثاني في الصفة جداً فيكون هذا على المبالغة المحضة نحو قامته أتمّ من الرمح ووجهه أضوأ من الشمس وجــاء في الحديث : « ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر » ذهب من لا يعرف معاني الكلام أن أبا ذر أصدق العالم أجمع وليس الأمر كذلك وإنما

فهي عليه الصلاة والسلام أن يكون أحد أعلى منه رتبة في الصدق ولو أراد ما ذهبوا إليه لقال : أبو ذر أصدق من كل من أظلت وأقلت .

(كل خمصانة) : يجوز فيه الرفع على البدل من الضمير في يترشفن وعلى هذا يرفع أرق حملاً على كل ، ويجوز نصب كل حملاً على النعت لقوله بدوراً أو على البدلية منها والخمصانة الضامرة والذكر خمصان .

(أهل ما بي من الضنى بطل) أهل مبتدأ خبره بطل أو خبر لمبتدأ محذوف والمعنى أنا أهل ما بي وحقيق به وأنا بطل صيد .

(ما خلا دم العنقود) : إذا قلت جاء القوم ما خلا زيداً فليس إلا النصب لأن خلا يتحتم كونها فعلاً لدخول ما المصدرية عليها ، وإذا قلت جاء القوم خلا زيد كان الجر لا غير .

* فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ

فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾

الاعراب :

(فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً) الفاء عاطفة على محذوف يفهم من السياق والتقدير فتم العقد بينهما على الإجارة والنكاح ومارس المهمة التي أنيطت به على أحسن وجه وأكمله فلما . ولما حينية أو رابطة وجملة قضى موسى الأجل لا محل لها وسار عطف على قضى وبأهله جار ومجرور متعلقان بسار وجملة آنس لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومن جانب الطور متعلقان بآنس وناراً مفعول به ولك أن تجعل من جانب الطور حالاً لأنه كان صفة لناراً وتقدم عليها . (قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً) لأهله متعلقان بقال وجملة امكثوا مقول القول وجملة إني تعليل للأمر بالمكث وإن واسمها وجملة آنست خبرها وناراً مفعول به . (لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون) جملة الرجاء حال أي راجياً ولعل واسمها وجملة آتيكم خبرها والكاف مفعول به ومنها حال لأنه كان صفة لخبر وبخبر متعلقان بآتيكم وأو حرف عطف وجذوة عطف على خبر وهي مثلثة الجيم : الشعلة من النار والقطعة من الحطب وجمعها جذا ، قال ابن مقبل :

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها

جزل الجذا غير خوار ولا دعر

ومن النار نعت لجذوة وجملة الرجاء حال أيضاً ولعل واسمها وجملة تصطلون خبرها • (فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة) الفاء عاطفة على محذوف يقتضيه السياق أي فسار نحوها فلما أتاها ، وجملة نودي لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومن شاطىء الوادي متعلقان بنودي والأيمن صفة لشاطيء وفي البقعة حال من الشاطيء والمباركة صفة للبقعة ومن الشجرة بدل من قوله من شاطىء الوادي بدل الاشتمال لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطىء وقد تقدم نظيره في قوله : « لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم» أي أتاه النداء من شاطىء الوادي من قبل الشجرة• (أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين) أن مفسرة لأن النداء قول والتقدير أي يا موسى ، وأجاز أبو البقاء وغيره أن تكون مخففة من الثقيلة واسمها محذوف يفسره جملة النداء أي نودي بأنه أي الشأن ، وإني إن واسمها وهي مكسورة الهمزة باتفاق القراء لأن النداء قول وأنا ضمير فصل أو مبتدأ والله خبر إن أو خبر أنا والجملة خبر إن ورب العالمين نعت لله أو بدل منه • (وان ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جانّ ولّى مدبراً ولم يعقب) الواو عاطفة وأن مفسرة معطوفة على سابقتها وألق فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وعصاك مفعول به ، فلما الفاء عاطفة على مقدر يقتضيه السياق أي فألقاها فصارت ثعباناً ورآها فعل وفاعل مستتر ومفعول به وجملة تهتز حالية وجملة كأنها جان حال من فاعل تهتز وكأن واسمها وجان خبرها وجملة ولى لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وفاعل ولى مستتر تقديره هو ومدبراً حال والواو عاطفة وجملة لم يعقب عطف على ولى أي ولم يرجع • (يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين) أقبل فعل أمر

وفاعله مستتر تقديره أنت ولا تخف لا ناهية وتخف فعل مضارع مجزوم بلا وإن واسمها ومن الآمنين خبرها والجملة تعليل للأمر بالإقبال والنهي عن الخوف • (اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) اسلك يدك فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به وفي جيبك متعلقان باسلك من سلك الشيء في الشيء أنفذه فيه ، وتخرج فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب والفاعل مستتر تقديره هي وبيضاء حال ومن غير سوء متعلقان ببيضاء وقد تقدم تعليل ذلك في سورة طه فجدد به عهداً • (واضمم إليك جناحك من الرهب) قال الزمخشري : « فإن قلت ما معنى قوله واضمم إليك جناحك من الرهب ؟ قلت : فيه معنيان أحدهما أن موسى عليه السلام لما قلب العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له : إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقاءك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران : اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى • والمراد بالجناح اليد لأن يدي الانسان بمنزلة جناحي الطائر وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه إليه ، والثاني أن يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدّده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعاره من فعل الطائر لأنه إذا خوّف نشر جناحيه وأرخاهما وإلا فجناحاه مضمومان إليه مشمران • ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز أن كاتباً له كان يكتب بين يديه فانفلت منه فلتة ريح ، فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الأرض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فإني ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسي » •

واضمم فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت واليك متعلقان باضمم وجناحك مفعول به ومن الرهب متعلقان باضمم بمثابة التعليل له أي من أجل الرهب وقيل بولى أي هرب من الفزع ، وقيل بمدبراً ، وقيل بمحذوف أي يسكن من الرهب ، والرهب بفتح الراء والهاء وبفتح الراء واسكان الهاء . وسيأتي مزيد تفصيل في باب البلاغة .

(فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوماً فاسقين) الفاء الفصيحة أي إذا تأملت بذلك واستيقنت منه فذانك ، وذانك اسم إشارة وهي تثنية ذاك ومن قرأ ذانّك بالتشديد جعلها تثنية ذلك بلام البعد ويكون التشديد عوضاً عنها وبرهانان خبر ومن ربك صفة لبرهانان أي مرسلان من ربك والى فرعون متعلقان بمرسلان وملئه عطف على فرعون وجملة إنهم تعليل لإرسال البرهانين وان واسمها وجملة كانوا خبرها وكان واسمها وقوماً خبرها وفاسقين صفة لقوماً .

البلاغة :

تقدم معظم ما في هذه الآيات من فنون البلاغة من استعارة واحتراس ، ونضيف الى ما تقدم ما أورده الامام الزمخشري بأسلوبه الساحر وهذا نصه : « فإن قلت قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموماً وفي الآخر مضموماً إليه وذلك قوله : « واضمم إليك جناحك » وفي طه « واضمم يدك الى جناحك » فما التوفيق

بينهما ؟ قلت : المراد الجناح المضموم هو اليد اليمنى والمضموم اليه هو اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح » .

وقال الزمخشري أيضاً : « فإن قلت لم سميت الحجة برهاناً ؟ قلت لبياضها وإنارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معاً » وهذا تعليل لطيف لا يحسن استنباطه غير هذا الامام ومعنى ذلك أن النون في البرهان زائدة ، يقولون أبره الرجل إذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم الحجة أيضاً سلطاناً من السليط وهو الزيت لإنارتها ، وفي معاجم اللغة : وأبره أتى بالبرهان أو بالعجائب وغلب الناس وهذا هو قول الزمخشري والمحققين ، وزعم صاحب القاموس في أحد قوليه أن النون أصلية قال وبرهن عليه أقام البرهان، والبرهان بالضم الحجة فتدبر .

الفوائد :

عصا موسى أيضاً :

قدمنا في سورة طــه بحثاً مستفيضاً عن العصا ونضيف هنا ما يتعلق بعصا موسى خاصة ، روى التاريخ أن شعيباً كانت عنده عصي الأنبياء فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فأخذ عصا كان شعيب مفتوناً بها وكان مكفوفاً فضن بها فقال : غيرها فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن له شأناً ، وقيل أمر شعيب ابنته أ نتعطي موسى عصاً يدفع بها السباع عن غنمه فوقعت في يدها سبع مرات كما تقدم وفي كتب التفسير طرائف عن تلك العصا لا مجال لها في كتابنا .

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾

اللغـــة :

(ردءاً) : معيناً ، يقال ردأته : أعنته والرِّدْء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كمـا أن الدفء اسم لما يدفأ به . قال سلامة ابن جندل :

وردئي كـــل أبيض مشرفي   شحيذ الحدّ عضب ذي فلول

أي وردئي الذي أتوقى به المكاره كـل سيف أبيض ، وعبّر بكـل لأن المراد بيان الجنس لا الشخص ومشرفي نسبة الى مشارف اليمن وهي قرى منها وقيل من الشام ، وشحيذ الحد مرهفه من شحذ المدية أي حددها ، والعضب : القاطع ، والفلول : جمع فلّ وهو كسر

في حد السيف وانثلام أي به فلول من قراع الكتائب • وقال النحاس: يقال ردأته وأردأته •

(العضد) : بفتح العين وضم الضاد وبالضم وبالكسر : غليظ الذراع وهو من المرفق الى الكتف جمعه أعضاد وأعضُد وهو قوام اليد وبشدته تشتد • قال طرفة ، وقيل لأوس ابن حجر :

أبني لبيني لستمو بيد   إلا يداً ليست لها عضد

وللعين مع الضاد فاء وعيناً للكلمة خاصة القوة والصلابة والاصطلام تقول عضه يعضه عضاً أمسكه بأسنانه ويقال أيضاً عض به وعض عليه وعضه الزمان اشتد عليه وأعضّ السيف بساق البعير ، قال لبيد :

ولكنا نعض السيف منها   بأسوق عافيات الشحم كوم

وعضته الحرب ، قال الأخطل :

ضجوا من الحرب إذ عضت غواربهم

وقيس عيلان من عاداتها الضجر

وملك عضوض : غشوم ، وعن أبي بكر : « سترون بعدي مُلْكاً عضوضاً وأمة شَعاعاً » وبئر عضوض : بعيدة القعر كأنها تعض الماتح بما تشق عليه ، وعضبته بلساني شتمته ، ورجل عضّاب : شتام، وعضبته عن حاجة : قطعته ، ومالك تعضبني عما أنا فيه ، والعضب بالسيف القاطع والرجل الحديد الكلام ، وعضبر الكلب : استأسد والعِضبارة : حجر الرحى وصخرة يقصر القصّار الثوب عليها ،

والمعضاد : سكين كبير للقصاب يقطع به العظام ، وأعضل الأمر : اشتد وبه داء عُضال ، وقد أعيا الأطباء وأعضلهم ، وتزوج ذو الإصبع فأتى حيه يسألهم مهرها فمنعوه فقال :

واحدةٌ أعضلتكم أمرها فكيف لو درتُ على أربع

وفلان عضلة من العُضَل : داهية من الدواهي وعضلت على فلان : ضيقت عليه أمره وحلت بينه وبين ما يريد ، ومنه « ولا تعضلوهن » ورماه بالعضيهة أي الافك ، وقال عليه السلام : « لا تعضية على أهل الميراث » أي لا يدخل عليهم الضرر بقسمة نحو السيف والخاتم .

الاعراب :

(قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون) رب منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة كما تقدم وان واسمها وجملة قتلت خبرها ومنهم حال لأنه كان في الاصل صفة وتقدمت ونفساً مفعول به، فأخاف الفاء عاطفة وأخاف فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره أنا وان وما في حيزها مفعول أخاف ويقتلون منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل والنون للوقاء وياء المتكلم المحذوفة مفعول به . (وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون) الواو عاطفة وأخي مبتدأ وهارون بدل أو عطف بيان وهو مبتدأ وأفصح خبر هو والجملة خبر أخي ومني متعلقان بأفصح ولساناً تمييز ، فأرسله الفاء الفصيحة وأرسله فعل أمر للدعاء وفاعله أنت والهاء مفعول به ومعي ظرف متعلق بأرسله وردءاً حال

وسيأتي معنى التصديق في باب البلاغة ويصدقني فعل مضارع مرفوع ولو جزم لجاز وقرىء به على أنه جواب للطلب والنون للوقاية والياء مفعول به والجملة مستأنفة أو صفة لردءاً أو حال من مفعول أرسله وجملة إني أخاف تعليل للملتمس وان واسمها وجملة أخاف خبر ان وأن وما في حيزها مفعول أخاف . (قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً) جملة سنشد مقول القول وفاعل نشد نحن وعضدك مفعول به وبأخيك جار ومجرور متعلقان بنشد ونجعل عطف على سنشد ولكما في محل نصب مفعول ثان لنجعل وسلطاناً مفعول نجعل الأول أي غلبة وحجة واضحة وقد مر تفسيره في باب اللغة . (فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون) الفاء عاطفة ولا نافية ويصلون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل وإليكما متعلقان بيصلون وبآياتنا يجوز فيه أن يتعلق بنحو ما تعلق به في تسع آيات أي اذهبا بآياتنا أو بنجعل أو بيصلون أو بسلطاناً أي نسلطكما بآياتنا أو بمحذوف حال أو من لغو القسم ولا أرى موجباً للترجيح في هذه الأوجه فاختر منها ما ترى ترجيحه ، وأنتما مبتدأ ومن اسم موصول معطوف على أنتما وجملة اتبعكما صلة من والغالبون خبر أنتما .

(فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ماهذا إلا سحر" مفترى) الفاء عاطفة على محذوف يقتضيه السياق ولما ظرفية حينية أو رابطة وجاءهم موسى فعل ومفعول وفاعل وبآياتنا متعلقان بجاءهم أو بمحذوف حال وبينات حال أي واضحات الدلالة وجملة قالوا جواب لما وما نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وسحر خبر ومفترى صفة . (وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) الواو عاطفة وما نافية وسمعنا فعل وفاعل وبهذا متعلقان بسمعنا وفي آبائنا حال من هذا فهو متعلق

بمحذوف تقديره كائناً والأولين نعت لآبائنا . (وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) ربي مبتدأ وأعلم خبره وبمن متعلقان بأعلم وجملة جاء بالهدى صلة من ومن عنده حال . (ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون) الواو عاطفة ومن عطف على من الأولى وتكون فعل مضارع ناقص وله خبرها المقدم وعاقبة الدار اسمها المؤخر ، ويجوز أن يكون اسم تكون ضمير الشأن أو ضمير القصة وله خبر مقدم وعاقبة الدار مبتدأ مؤخر والجملة خبر تكون ، ويجوز أن تكون تامة فتكون جملة له عاقبة الدار حالاً وفاعل تكون ضمير يعود على من وان واسمها وجملة لا يفلح الظالمون خبرها .

البلاغة :

١ ـ الاسناد المجازي :

في قوله « فأرسله معي ردءاً يصدقني » إسناد مجازي ، فقد أسند اليه التصديق لأنه السبب فيه ، ومعنى الإسناد المجازي أن التصديق حقيقة في المصدق فاسناده حقيقة وليس في السبب تصديق لكن استعير له الاسناد لأنه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على ذلك قوله « إني أخاف أن يكذبون » فليس الغرض من قوله يصدقني أن يقول صدقت أو يقول للناس صدق أخي وانما طريق تصديقه أن يلخص الحق بلسانه ، ويجادل الكفار ببيانه وأن يقرر الحجة ويورد البرهان مدعوماً بالأرقام كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة ، ألا ترى الى قوله : « وأخي هارون هو أفصح مني لساناً » وفي هذا دليل على سمو البيان وشرفه وإنافته على الكلام العادي الذي لايصيب المحز ولايتغلغل الى أغوار النفوس .

٢ ـ المجاز المرسل :

وفي قوله « سنشد عضدك بأخيك » مجاز مرسل على طريق إطلاق السبب وإرادة المسبب بمرتبتين تتبع احداهما ثانيتهما فإن شدة العضد سبب مستلزم لشدة اليد وشدة اليد مستلزمة لقوة الشخص في المرتبة الثانية واختار الشهاب في حاشيته على البيضاوي أن يكون كناية تلويحية قال : « الشد التقوية فهو اما كناية تلويحية عن تقويته لأن اليد تشد بشد العضد والجملة تشد بشد اليد أو استعارة تمثيلية شبه حال موسى في تقويته بأخيه بحال اليد في تقويتها بالعضد » وليس ببعيد .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

اللغــة :

(أطّلع) : الطلوع والاطلاع : الصعود ، يقال طلــع الجبــل واطلع بمعنى وإن نفسك لطلّعة" إلى هــذا الأمر وانها لتطلّــع إليه أي تنازع •

(المقبوحــين) : المقبوح : المطــرود وقبحــه الله : طرده ، وفي المصباح : « قبــح الشيء قبحاً فهو قبيح من باب قرب وهو خــلاف حسن وقبحه الله يقبحه بفتحتين : نحاه الله عن الخـير وفي التنزيل : « وهم من المقبوحين » أي المبعدين عن الفوز والتثقيل مبالغة وقبح عليه فعله تقبيحاً » •

وقال أبو زيد : قبح الله فلاناً قبحاً وقبوحاً أبعده من كل خير ، وقال أبو عمــرو : قبحت وجهــه بالتخفيف بمعنى قبّحت بالتشديد ومثله قول الشاعر :

ألا قبح الله البراجــم كلهــا وقبــح يربوعاً وقبــح دارما

الاعراب :

(وقال فرعون يا أيها المــلأ ما علمت لكم من إله غيري) الواو عاطفة على مقدر يقتضيه السياق أي وقال فرعون بعد ما جمع السحرة لمعارضته وكان بينهم وبين موسى ما كان ، ويا حرف نداء وأيها منادى نكرة مقصودة بني على الضم في محل نصب والهاء للتنبيه والملأ بدل وما نافية وعلمت فعل وفاعل ولكم حال ومن حرف جر زائد وإلــه

مجرور لفظاً بمن منصوب محلاً لأنه مفعول به وغيري صفة لإله • (فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً) الفاء الفصيحة وأوقد فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ويا حرف نداء وهامان منادى مفرد علم وعلى الطين متعلقان بأوقد ، فاجعل عطف على أوقد ولي في محل نصب مفعول ثان لاجعل وصرحاً مفعول أول • (لعلي أطلع الى إلـه موسى وإني لأظنه من الكاذبين) لعل واسمها وجملة أطلع خبرها والى إله موسى متعلقان بأطلع وإني الواو عاطفة وان واسمها واللام المزحلقة وجملة أظنه خبر والهاء مفعول به أول ومن الكاذبين في موضع المفعول الثاني • (واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق) عطف على وقال فرعون وهو فاعل استكبر أو توكيد للفاعل لأن استتار الفاعل في الغائب جائز وجنوده عطف على هو وفي الأرض متعلقان باستكبر وبغير الحق حال من فاعل استكبر أي ملتبسين بغير الحق • (وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون) وظنوا عطف على استكبر وأن وما يليها سدت مسد مفعولي ظنوا وإلينا متعلقان بيرجعون ولا نافية وجملة لا يرجعون خبر أن • (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) فأخذناه عطف على ما تقدم وأخذناه فعل وفاعل ومفعول به وجنوده عطف على الهاء في أخذناه أو مفعول معه فنبذناهم عطف على فأخذناه وفي اليم متعلقان بنبذناهم ، فانظر الفاء الفصيحة وانظر فعل أمر وكيف خبر مقدم لكان وعاقبة الظالمين اسمها المؤخر • (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون) وجعلناهم فعل وفاعل ومفعول به أول وأئمة مفعول به ثان وجملة يدعون صفة لأئمة والى النار متعلقان بيدعون ويوم القيامة الواو عاطفة ويوم القيامة ظرف متعلق بينصرون ولا نافية وينصرون

فعل مضارع مبني للمجهول ولك أن تجعل الواو حالية والجملة حال •
(وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) وأتبعناهم عطف على ما تقدم وفي هذه الدنيا حال والدنيا بدل من هذه ولعنة مفعول به ثان •
(ويوم القيامة هم من المقبوحين) الظرف متعلق بمحذوف دل عليه قوله المقبوحين كأنه قيل وقبحوا يوم القيامة وإنما قدرنا محذوفاً لأن تعليقه بالمقبوحين وهو الظاهر يمنع منه وجود أل الموصولية ، على أنهم قد اتسعوا في ذلك فعلقوه بمدخولها ولا مانع من ذلك ولك أن تعطفه على موضع في هذه الدنيا أي وأتبعناهم لعنة يوم القيامة وهم مبتدأ ومن المقبوحين خبره •

البلاغة :

في قوله « فأوقد لي يا هامان على الطين » إطناب بديع وذلك أنه لم يقل اطبخ لي الآجر وذلك ليتفادى ذكر كلمة الآجر لأن تركيبها ـ على سهولة لفظه ـ ليس فصيحاً وذلك أمر يقرره الذوق وحده ، ألا ترى إلى هذه الكلمة وقد وقعت في بيت للنابغة الذبياني من قصيدته الدالية التي أولها :

من آل مية رائح أو مغتدي　　　عجلان ذا زاد وغير مزود

والبيت هو :

أو دمية من مرمر مرفوعة　　　بنيت بآجر يشاد بقرمد

فلفظة آجر في البيت قلقة نابية لابتذالها ، فإن شئت أن تعلم شيئاً من سر الفصاحة التي تضمنها القرآن فانظر الى هذا الموضع فإنه

لما جيء فيه بذكر الآجر لم يذكره بلفظه ولا بلفظ القرمد أيضاً لكنه ذكر في القرآن على وجه آخر فعبر عن الآجر بالوقود على الطين ، ثم ان هذه العبارة أحسن مطابقة لفصاحة القرآن وعلو طبقته وأشبه بكلام الجبابرة وأمر هامان وهو وزيره ورديفه بالإيقاد على الطين منادى باسمه بـ « يا » في وسط الكلام دليل التعظيم والتجبر وقد اشتملت هذه العبارة على الكثير من ألفاظ الجبابرة العتاة وذلك على الوجه التالي :

١ً ـ نادى وزيره بحرف النداء .

٢ً ـ توسيط ندائه خلال الأمر وبناء الصرح .

٣ً ـ رجاؤه الاطلاع الى الله .

٤ً ـ الغباء الذي يلازم الجبابرة العتاة إذ يقعون في التناقض من حيث لا يشعرون فقد صرح قبل هنيهة بقوله « ما علمت لكم من إله غيري » فعبر عن نفي المعلوم بنفي العلم وأعلن تصميمه على الجحود ثم ما عتم أن أعلن رجاءه الاطلاع فهل كان مصمماً على الجحود أم لم يكن .

فصل في اختيار الألفاظ :

هذا وقد عني علماء البيان باللفظة وسر اختيارها وخلاصة ما يقال فيه : أن حسن الألفاظ وقبحها أمر يعود الى الذوق وحده فما استحسنه كان حسناً وما استقبحه كان قبيحاً ، فالاستعمال ليس بدليل الحسن ، وهذا طريق يضل فيه غير العارف بمسالكه ومن لم يعرف صناعة النظم والنثر وما يجده صاحبها من الكلفة في صوغ الألفاظ واختيارها فإنه معذور في أن يقول ما قال :

لايعرف الشوق إلا من يكابـــده

ولا الصبابـــة إلا من يعانيهـــا

والصاحب بن عباد الذي كان من المفتونين بأبي الطيب ، والذي كان يستعمل أشعاره في كتاباته ويقتبس منها ، عندما حصلت بينه وبين أبي الطيب المتنبي الجفوة بسبب ترفع هذا عن مجاوبته فقد ذكروا أن الصاحب أبا القاسم طمع في زيارة المتنبي إياه بأصبهان وإجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان وهو إذ ذاك شاب ولم يكن قد استوزر بعد ، وقد كتب الصاحب اليه يلاطفه في استدعائه ويضمن له مشاطرته جميع ماله فلم يقم له المتنبي وزناً ولم يجبه الى كتابه ولم يحقق مراده ، وقصد المتنبي بعد ذلك الى حضرة عضد الدولة بشيراز فأسفرت سفرته ــ كما يقول أبو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر ــ عن بلوغ الأمنية ، وورود مشروع المنية ، وذلك أن المتنبي قتل عند مغادرته إياه محملاً بالعطايا والهبات •

قال الثعالبي : « واتخذه الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقيعة ويتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته ، وينعى عليه سيئاته ، وهو أعرف الناس بحسناته ، وأحفظهـم لها ، وأكثرهم استعمـالاً إياها وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته » •

وقد عمل الصاحب رسالة فيما أخذه على المتنبي ، وإذا فرضنا أن الذي دعا الصاحب إلى عمل هذه الرسالة هو استياؤه من المتنبي حيث تعاظم عن مدحه فإنا نجده لم يتحامل عليه بالباطل في شيء منها ولم يظلمه بحرف واحد جاء فيها ولم يعبه إلا بما هو عيب ولم يستطع

أن ينال منه إلا من طريق الألفاظ وحدها • ونورد هنا نماذج من هذه الرسالة •

١ ــ أخذ الصاحب على المتنبي التفاصح بالألفاظ الشاذة فمن ذلك قوله :

أيفطمه التوراب قبل فطامه
ويأكله قبل البلوغ الى الأكل

قال : « وما أرى كيف عشق التوراب حتى جعله عوذة أشعاره » والتوراب : التراب •

ومعنى البيت : أيفطمه التوراب قبل أن تفطمه أمه ويأكله التراب قبل أن يبلغ سن الآكل •

٢ ــ وأخذ عليه لفظة ترنج بقوله :

شديد البعد من شرب الشمول
ترنج الهند أو طلع النخيل

قال الصاحب ساخراً : «فلا أدري أإستهلال الأبيات أحسن؟ أم المعنى أبدع ؟ أم قوله ترنج أفصح » ولقد أصاب الصاحب فاللغة الفصيحة هي أترج وأترجة ومنه الحديث مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، وحكى أبو زيد ترنج وترنجة ، يقول أبو الطيب : ترنج الهند وطلع النخيل شديد بعدهما عن محلك من شرب الخمر وإن كان غيرك يتخذهما لذلك لأن هذه الحال غير مظنونة

بك وانما استحضارك لهما ولما يشاكلهما من الرياحين استمتاعاً بحسن ذلك •

٣ ــ وانتقد الصاحب جمع الآخاء في شعره إذ قال :

كل آخائه كرام بني الدنيا ولكنه كريم الكرام

قال : « ولو وقع الآخاء » في رائية الشمّاخ لاستثقل فكيف مع أبيات منها :

قد سمعنا ما قلت في الأحلام
وأنلناك بدرة في المنام

والكلام إذا لم يتناسب زيّنه جهابذته ، وبهرجه نقاده » •

وعلى هذا النحو يمضي في كشف مساوىء المتنبي وكلها أمور ترجع الى اللفظة وحدها وسيرد معنا الكثير منها فلنكتف بما ذكرناه الآن منها •

وعاب النقاد القوافي الملتاثة ، فعابوا على أبي تمام قافيته الثائية في قصيدته التي مطلعها :

قف بالطلول الدارسات علاثا
أضحت حبال قطينهن رثاثا

وعلاثا منادى مرخم وأصله يا علاثة • وعابوا على أبي الطيب قافيته الشينية في قصيدته التي مطلعها :

مبيـــتي مـــن دمشق عـــلى فراش
حشـــاه لي بحـــرّ حشاي حـــماش

وعابوا على ابن هانىء الأندلسي قافيته الخائية في قصيدته التي مطلعهـــا :

سرى وجنـــاح الليـــل أقتم أفتخ
حبيبٌ ضجيـــع بالعبـــير مضمّخ

والاقتم : المظلم ، والأفتخ : المستطيل .

وحسبنا ما تقدم فقد كدنا نخرج بالكتاب عن موضوعه .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾

اللغــة :

(بصائر) : البصيرة : العقل والفطنة والعبرة والشاهد والحجة يقال : جوارحه بصيرة عليه أي شهود وفراسة ذات بصيرة أي صادقة والجمع بصائر وقوله « بصائر للناس » أي أنواراً لقلوبهم تبصر بها الحقائق وتميز بها بين الحق والباطـل بعد أن كانت عميا عن الفهـم والادراك بالكلية فالبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما أن البصر نور العين الذي به تبصر وسيأتي المزيد من معناها في باب الاعراب ٠

(ثاوياً) : مقيماً ، يقال ثوى يثوي من باب ضرب ثواء وثُوِياً المكان وفيه وبه أقام وثوى الرجل مات قـال عبيـد بن الأبرص في مطلع معلقته :

آذنتنـا ببينهـا أسماء   رب ثاوٍ يمـلّ منه الثواء

الاعراب :

(ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) الواو استئنافية والـلام جواب للقسم المحـذوف وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل وموسى مفعول به أول والكتاب مفعول به ثان ومن بعد متعلقان بآتينا وما مصدرية وأهلكنا فعل وفاعل والقرون مفعول به والأولى صفة ٠ (بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون) بصائر حال من الكتاب أو مفعول لأجله ، وعلى الحالية لا بد من تقدير مضاف أي ذا بصائر ، أو على المبالغة ، وللناس نعت لبصائر وهـدى ورحمة عطف عـلى بصائر ولعلهم يتذكرون لعـل واسمها وجملة

يتذكرون خبرها . (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين) الواو عاطفة أو استئنافية وما نافية وكنت كان واسمهـا وبجانب خبرهـا والغربي مضاف إليـه أي وما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي فيكون من حـذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، واختاره الزجاج ، وقال الكلبي بجانب الوادي الغربي أي حيث ناجى موسى ربه ، وإذ ظرف لما مضى متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الجار والمجرور وجملة قضينا مجرورة بإضافـة الظرف اليها والأمر مفعول به والواو حرف عطف وما نافية وكنت كان واسمها ومن الشاهدين خبرها والأمر المقضي هو الوحي الذي أوحي إليه . (ولكنا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر) الواو عاطفة ولكن واسمها وجملة أنشأنا خبرها ونا فاعل وقروناً مفعول به فتطاول عطف عـلى أنشأنا وعليهم متعلقان بتطاول والعمر فاعل . (وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلـين) الواو عاطفة وما نافية وكنت كان واسمها وثاوياً خبرها وفي أهل مدين متعلقان بثاوياً وجملة تتلو في موضع نصب خبر ثان لكنت أو حال من الضمير في ثاوياً ، ولكنا الواو حالية أو عاطفة ولكن واسمهـا وجملة كنا خبرها وكان واسمها وجملة مرسلين خبرها .

(وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك) الواو عاطفة وما نافية وكنت كان واسمها وبجانب خبر كنت والطور مضاف اليه والظـرف متعلق بالاستقرار الـذي تعلق به الخبر وهو بجانب والخطاب في الآيتين لمحمد صلى الله عليه وسلم أي وما كنت حاضراً المكان الذي أوحينا فيه الى موسى عليه السلام ولا كنت من الشاهدين الوحي ولا كنت بجانب الطور حين ناديناه ليأخذ التوراة ، وجملة

نادينا في محل جر بإضافة الظرف اليها ، ولكن الواو عاطفة ولكن حرف استدراك مهمل لأنه خفف ورحمة مفعول لأجله أي أرسلناك وعلمناك هذا كله رحمة ومن ربك صفة لرحمة • (لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) لتنذر اللام للتعليل وتنذر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بأرسلناك المحذوفة وإنما جر المفعول لأجله باللام لاختلاف الفاعل وقوماً مفعول به وجملة ما أتاهم صفة لقوماً وما نافية وأتاهم فعل ماض ومفعول به ومن حرف جر زائد ونذير مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل ومن قبلك صفة لنذير ولعل واسمها وجملة يتذكرون خبرها •

البلاغة :

١ ــ جناس التحريف :

في قوله : « ولكنا كنا مرسلين » جناس التحريف الذي يكون الضبط فيه فارقاً بين الكلمتين أو بعضهما وقد مرت له نظائر وستمر نظائر كثيرة ومثاله في الشعر قول أبي العلاء المعري :

والحسن يظهر في شيئين رونقه
بيت من الشِعر أو بيت من الشَعر

وله أيضاً :

لغيري زكاة من جمال فإن تكن
زكاة جَمال فاذكري ابن سبيل

فالتجنيس في الأول بين « الشعر » و « الشعر » وفي الثاني بين « جمال » و « جمال » وما ألطف قول بهاء الدين زهير :

زها ورد خديك لكنه　　بغير النواظر لم يقطف

وقد زعموا أنه مضعف　　وما علموا أنه مضعفي

٢ ــ الاشارة :

وقد تقدم بحث هذا الفن أكثر من مرة وتتناوله الآن بصورة مسهبة كما تتناول الرمز الذي شاع في العصر الحديث ليكون كتابنا جامعاً لأفانين الأدب ، أما الإشارة في الآية فهي : ما أشارت اليه كلمة « الأمر » من قوله « وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا الى موسى الأمر » فقد أشارت الى ابتداء نبوة موسى وخطاب الحق له وإعطائه الآيات البينات من إلقاء العصا لتصير ثعباناً وإخراج يده بيضاء وإرساله إلى فرعون ، وسؤاله شدّ عضده بأخيه هارون ، الى جميع ما جرى في ذلك المقام ، وأمثال هذه المواضيع إذا تقصاها الباحث خرجت عن حد الحصر في الكتاب العزيز .

الاشارة في الشعر :

وقد قدمنا نماذج شعرية من هذا الفن ، ويرى قدامة أن أفضل بيت في الإشارة قول زهير :

وإني لو لقيتك فاجتمعنا

لكان لكل مندية لقاء

فقد أشار له بقبح ما كان يصنع لو لقيه • وأنشد الحاتمي عن علي بن هارون عن أبيه عن حماد عن أبيه اسحق بن ابراهيم الموصلي :

جعلنا السيف بين الخدّ منه وبين سواد لمتـــه عـذارا

فأشار الى هيئة الضربة التي أصابه بها دون ذكرها إشارة لطيفة دلت على كيفيتها وانما وصف أنهم ضربوا عنقه • ومن أنواع الاشارة التفخيم والايماء فأما التفخيم فكقول الله تعالى « الحاقة ما الحاقة » وقول كعب بن سعد الغنوي :

أخي ما أخي لا فاحش عنـــد بيتـه

ولا ورع عنـــد اللقـــاء هيوب

وأما الإيماء فكقوله تعالى « فغشيهم من اليم ماغشيهم » فأومأ الى ما غشيهم وترك التفسير وتقدم ذكره بعنوان الابهام ، وقال كثير صاحب عزة :

تجافيت عني حين لا لي حيلة وخلفت مـا خلفت بين الجوانح

فقوله « خلفت ما خلفت » إيماء مليح •

ومن أنواع الاشارة الرمز كقول أحـدهم يصف امرأة قتـل زوجها وسبيت :

عقلتُ لها من زوجهـا عَدَدَ الحصى

مع الصبح أو مَعْ جنح كل أصيـل

يريد أني لم أعطها عَقْلاً ولا قَوَداً بزوجها إلا الهم الذي يدعوها الى عدّ الحصى ، وأصل العقل أخذ الدية ، وعدد الحصى مفعول عقلت وأصله من قول امرىء القيس :

ظللت ردائي فوق رأسي قاعداً
أعد الحصى ما تنقضي عبراتي

يريد أنه لما غشي ديار الحي فلم يجد أحداً وضع رداءه فوق رأسه وجلس مفكراً يعد الحصى ودموعه لا ترقأ ، ومن مليح الرمز قول أبي نواس يصف كئوساً ممزوجة فيها صور منقوشة وقد تقدم ذكر هذه الأبيات ومنها هنا :

قرارتها كسرى وفي جنباتها
مهاً تدّريها بالقسيّ الفوارس

فللخمر ما زُرّتْ عليه جيوبُها
وللماء ما دارت عليه القلانس

يقول : ان حدّ الخمر من صور هذه الفوارس التي في الكئوس الى التراقي والنحور وزيد الماء فيها مزاجاً فانتهى الشراب الى فوق رءوسها ، ويجوز أن يكون انتهاء الحباب الى ذلك الموضع لما مزجت فأزبدت ، والأول أملح ، وفائدته معرفة حدها صِرْفاً من معرفة حدها ممزوجة وهذا عندهم مما سبق اليه أبو نواس •

الرمزية في الشعر الحديث :

كان نشوء الرمزية رد فعل ضد الواقعية التي أسرفت في التأثر بالعلم والبعد عن الخيال الشعري وكما استطاعت الواقعية أن تزحزح الروماتنيكية عن مكانتها كان نشوء الرمزية إيذاناً بتراجع الواقعية لتحل محلها تلك الحركة الجديدة التي احتلت الربع الأخير من القرن التاسع عشر •

والشعر عند أصحاب هذا المذهب ـ كما يقول بعضهم ـ « نشوة وحلم يحملان الانسان الى حيز اللاوعي حيث يلمح هناك من الحقائق مالا يستطيع رؤياها عن طريق العقل والمنطق في العالم الواعي وهو لا يجد في العالم الباطني صوراً تامة الوضوح يستطيع التعبير عنها تعبيراً صريحاً ولكنه يعبر عنها بالرمز حتى يستطيع أن يوحي للقارىء بنفس الاحساس وينقله الى نفس الحالة » •

ومن هنا جاء الغموض في الرمزية ، ثم أمعنوا في الابهام وغلفوا الشعر بغلاف من الضباب ، فأسقطوا حروف التشبيه واعتمدوا على الكلمة في ايحائهم يقدمونها ويؤخرونها عن موضعها عن قصد حتى تزيد من اشعاعاتها الموحية ، وكذلك طابقوا بين الحروف والألوان وبين الألوان والمعاني فاللون الأحمر يرمز للحياة الصاخبة والدم وشهوة الحب والأعاصير ، والأخضر يمثل الكون والطبيعة والبحر ، والأزرق يمثل الانطلاق الى ما وراء المادة الكونية حيث عالم الملائكة والموسيقى التي تبلغ الأعماق ، واللون البنفسجي لون الرؤى الصوفية ، والأصفر للحزن والتحفز نحو عالم أفضل ، والأبيض يشف عن الهدوء والسكينة والطهر • ويعبر بودلير الشاعر الفرنسي الرمزي عن العلاقة بين الألوان والعطور والأصوات في قصيدته التي يتناول فيها وحدة الطبيعة فيقول :

الطبيعة معبد ذو أعمدة حية

تنبعث منه أحياناً كلمات غامضة

فيمر الانسان من خلال غابات الرموز

تحدق فيه بنظرات آلفته •

وتتمازج الأصداء الطويلة البعيدة الغموض

في وحدة مظلمة عميقة

رحبة كالليل وكالضياء

وتتجاوب العطور والالوان والاصوات

وحسبنا ما أوردناه ، ومن أراد المزيد فليرجع الى ما كتب في هذا الصدد وهو كثير •

٣ ــ الاحتراس :

وفي هذه الآية نفسها فن الاحتراس وقد تقدم ذكره كثيراً ، ولعل الاحتراس الذي وقع في هــذه الآية أعجب احتراس وقــع في القرآن فالخطاب كما قلنا موجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولما نفى تبارك وتعالى عن رسوله الكريم كونه بالمكان الــذي قضى لكليمه موسى الأمر عرّف المكان بالجانب الغربي ولم يصفه باليمين كما قال في الإخبار عن موسى عليه السلام : « وناديناه من جانب الطور الأيمن » أدباً منه سبحانه مع نبيه أن ينفي عنه كونه في الجانب الأيمن ووصف سبحانه الجانب ها هنا باليمين إذ أخبر أنه نادى منه كليمه موسى تشريفاً له •

هذا ولا بد من الإلماع الى أن قوله « بجانب الغربي » أصله أن يكون صفة أي بالجانب الغربي ولكن حول عن ذلك وجعله صفة لمحذوف ضرورة امتناع إضافة الموصوف الى الصفة إذ كانت هي الموصوف في المعنى وإضافة الشيء الى نفسه خطأ والتقدير جانب المكان الغربي •

وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

الاعراب :

(ولولا أن تصيبهم مصيبة" بما قدمت أيديهم) الواو عاطفة ولولا حرف امتناع لوجود وأن ومافي حيزها مبتدأ خبره محذوف

كما هي القاعدة المشهورة أي ولولا إصابتهم المصيبة لهم وجوابها محذوف تقديره لما أرسلنا رسولاً ومصيبة فاعل وبما متعلقان بتصيبهم وجملة قدمت صلة . (فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) الفاء عاطفة ويقولوا عطف على أن تصيبهم وربنا منادى مضاف ولولا تحضيضية بمعنى هلا وأرسلت فعل وفاعل والينا متعلقان بأرسلت ورسولاً مفعول به ، فنتبع الفاء فاء السببية وتتبع فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية وفاعل تتبع مستتر تقديره نحن وآياتك مفعول به ونكون عطف على تتبع واسم نكون ضمير مستتر تقديره نحن ومن المؤمنين خبره .

هذا وقد شغلت هذه الآية المفسرين والمعربين قال الزمخشري : « فإن قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه ؟ قلت : القول هو المقصود بأن يكون سبباً لإرسال الرسل ، ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال بواسطة القول فأدخلت عليها لولا ، وجيء بالقول معطوفاً عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويئول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهم أنهم لو لم يعاقبوا مثلاً على كفرهم وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا : « لولا أرسلت إلينا رسولاً » وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم ، وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم مالا يخفى » .

والسر في جعل سبب السبب سبباً وعطف السبب الأصلي عليه أمران : أحدهما أن مزيد العناية يوجب التقديم وهذا هو السر الذي أبداه سيبويه والثاني أن في هذا النظم تنبيهاً على سببية كل واحد منهما ، أما الاول فلاقترانه بحرف التعليل وهو أن وأما الثاني فلاقترانه بفاء السبب ، وكان بعض النحاة يورد إشكالاً بهذه الآية فيقول « لولا » عند أهل الفن تدل على امتناع جوابها لوجود ما بعدها وحينئذ يكون الواقع بعدها في الآية موجوداً وهو عقوبة هؤلاء المذكورين بتقدير عدم بعثة الرسل وجوابها المحذوف غير واقع وهو عدم الإرسال لأنه ممتنع بالأولى . ومتى لم يقع عدم الارسال كان الارسال واقعاً ضرورة فيشكل الواقع بعدها إذ لا ظلم قبل بعثة الرسل فلا تتصور العقوبة بتقدير عدم البعثة وذلك لأنها واقعة جزاء على مخالفة أحكام الشرع فإن لم يكن شرع فلا مخالفة ولا عقوبة ، ويشكل الجواب على النحاة لأنه يلزم أن لا يكون واقعاً وهو عدم بعثة الرسل لكن الواقع بعدها يقتضي وقوعه والتحرير في معنى لولا أنها تدل على أن ما بعدها مانع من جوابها عكس « لو » فإن معناها لزوم جوابها لما بعدها ثم المانع قد يكون موجوداً وقد يكون مفروضاً والآية من قبيل فرض وجود المانع وكذلك اللزوم في « لو » قد يكون الشيء الواحد لازماً لشيئين فلا يلزم نفيه من نفي أحد ملزوميه وعلى هذا التحرير يزول الاشكال .

(فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى) الفاء عاطفة ولما حينية أو رابطة وجاءهم الحق فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ومن عندنا متعلقان بجاءهم وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب لما ولولا حرف تحضيض أي هلا وأوتي

فعل ماض ونائب الفاعل مستتر تقديره هو أي محمد صلى الله عليه وسلم ومثل مفعول به ثان وما اسم موصول مضاف لمثل وجملة أوتي صلة وموسى نائب فاعل • (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) الهمزة للاستفهام الإنكاري التقريري والواو عاطفة على مقدر يقتضيه السياق ولم حرف نفي وقلب وجزم ويكفروا فعل مضارع مجزوم بلم وبما متعلقان بيكفروا وجملة أوتي موسى صلة ومن قبل متعلقان بأولم يكفروا أو بأوتي فيكون المعنى أن أهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد وبالقرآن فقد كفروا بموسى وبالتوراة • (قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون) فجملة قالوا مفسرة وسحران خبر لمبتدأ محذوف أي هما ساحران وجملة تظاهرا نعت لسحران أي تعاونا بتصديق أحدهما الآخر وقالوا عطف على قالوا وإنا ان واسمها وبكل متعلقان بكافرون وكافرون خبر انا والجملة مقول القول • (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين) قل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والفاء الفصيحة وأتوا فعل أمر وبكتاب متعلقان بفأتوا ومن عند الله متعلقان بمحذوف صفة وهو مبتدأ وأهدى خبر ومنهما متعلقان بأهدى والجملة صفة ثانية لكتاب وأتبعه فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الأمر والفاعل مستتر تقديره أنا والهاء مفعول به وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وصادقين خبرها وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فأتوا والأمر هنا للتعجيز المشوب بالتوبيخ والتقريع • (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) الفاء عاطفة وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم ويستجيبوا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعل ولك متعلقان بيستجيبوا والفاء رابطة لجواب الشرط واعلم فعل أمر وأنما كافة

ومكفوفة لإفادة الحصر ويتبعون فعل مضارع مرفوع وفاعل وأهواءهم مفعول وإنما وما في حيزها سدت مسد مفعولي أعلم ٠

(ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين) الواو عاطفة ومن اسم استفهام معناه النفي والإنكار في محل رفع مبتدأ وأضل خبره وممن متعلقان بأضل وجملة اتبع هواه صلة من وبغير هدى حال ومن الله صفة لهدى وجملة إن الله تعليل لما تقدم وان واسمها وجملة لا يهدي القوم الظالمين خبرها ٠

الفوائد :

نظراً لانغلاق التراكيب الواردة في الآية المتقدمة وهي قوله تعالى « ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين » ٠ وسمو إعجازه نورد بالإضافة الى ما قدمناه في الاعراب ما قاله الشهاب الخفاجي في حاشيته الممتعة على البيضاوي ففيه إيضاح لما أوضحناه ، قال ما ملخصه : ان الآية تقتضي وجود إصابتهم ووجود قولهم المذكور ، والواقع انهم لم يصابوا ولم يقولوا القول المذكور فحينئذ يشكل هذا الترتيب من حيث أن لولا حرف امتناع لوجود فيصير المعنى أرسلناك اليهم لنزول المصيبة بهم ووجود قولهم المذكور وهذا غير صحيح ، وتكلف بعضهم الجواب بأن في الكلام حذف المضاف والتقدير ولولا كراهة أن تصيبهم الخ ، فالمحقق في الموجود انما هو كراهة مصيبتهم المترتب عليها قولهم المذكور فيكون المعنى أرسلناك اليهم لأجل كراهة أن يصابوا فيقولوا ما ذكر وقيل إن التحقيق أن

لولا إنما تدل على أن ما بعدها مانــع من جوابها والمانــع قد يكون موجوداً وقد يكون مفروضاً وما هنا من الثاني فلا إشكال فيه وان لم يقدر المضاف اهـ •

* وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

الاعراب :

(ولقد وصّلنا لهم القول لعلهــم يتذكرون) الواو استئنافية ولك أن تجعلها عاطفة ليتساوق الكلام واللام جــواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق ووصّلنا فعل ماض مبني على السكون ونا ضمير متصل في محل رفع فاعل ولهم متعلقان بوصلنا والقول مفعول به أي اتبعنا بعضه بعضاً في الانزال ليتصل التذكير ، ولعل واسمها وجملة

يتذكرون خبر لعلّ أي جعلناه متنوعاً يشتمل على الوعد والوعيد والنصائح والمواعظ والقصص لعلهم يتعظون به • (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) الذين اسم موصول مبتدأ وجملة آتيناهم صلة وآتيناهم فعل وفاعل ومفعول به أول والكتاب مفعول به ثان ومن قبله حال وهم مبتدأ ثان وبه جار ومجرور متعلقان بيؤمنون وجملة يؤمنون خبر « هم » وجملة هم به يؤمنون خبر الذين وهم أهل الكتاب الذين آمنوا وكان عددهم أربعين رجلاً وقيل ثمانين • (وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به) الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة يتلى في محل جر بإضافة الظرف اليها ويتلى فعل مضارع مبني للمجهول وعليهم متعلقان بيتلى ونائب الفاعل مستتر تقديره هو يعود على القرآن وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة آمنا مقول القول وبه متعلقان بآمنا • (إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) كلام مستأنف مسوق لبيان وتعليل ما استدعى إيمانهم به وان واسمها والحق خبر إن ومن ربنا حال وإنا كنا الخ كلام مستأنف أيضاً مسوق لبيان أن إيمانهم ليس بدعاً ولا مستحدثاً وانما هو أمر متقادم العهد وإن واسمها وجملة كنا خبرها ومن قبله حال ومسلمين خبر كنا لأن الإسلام صفة كل مؤمن مصدق للوحي •

(أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) أولئك مبتدأ وجملة يؤتون خبر ويؤتون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وأجرهم مفعول به ثان ومرتين نصب على المصدرية أو الظرفية وبما صبروا متعلقان بيؤتون والباء حرف جر للسببية وما مصدرية اي بسبب صبرهم • (ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون)

ويدرءون عطف على يؤتون أي يدفعون والواو فاعل وبالحسنة متعلقان بيدرءون والسيئة مفعول به ومما متعلقان بينفقون وجملة رزقناهم صلة وينفقون عطف على يدرءون . (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة سمعوا مجرورة باضافة الظرف إليها واللغو مفعول به وجملة أعرضوا لا محل لها وعنه متعلقان بأعرضوا ، وقالوا عطف على أعرضوا ولنا خبر مقدم وأعمالنا مبتدأ مؤخر ولكم أعمالكم عطف على ماتقدم .(سلام عليكم لانبتغي الجاهلين) سلام مبتدأ وساغ الابتداء به لأن فيه معنى الدعاء وعليكم خبر والسلام هنا سلام توديع ومتاركة لا سلام تحية ومواصلة وجملة لانبتغي الجاهلين حالية ولا نافية ونبتغي فعل مضارع والفاعل مستتر تقديره نحن والجاهلين مفعول به . (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) كلام مستأنف مسوق لبيان حرصه على إيمان عمه أبي طالب وان واسمها وجملة لا تهدي خبرها والفاعل مستتر تقديره أنت ومن مفعول به وجملة أحببت صلة ولكن الله الواو عاطفة أو حالية ولكن واسمها وجملة يهدي خبرها ومن يشاء مفعول به وهو مبتدأ وأعلم خبر وبالمهتدين متعلقان بأعلم .

الفوائد :

قال الزجاج : أجمع المسلمون على أن هذه الآية : « انك لا تهدي الخ » نزلت في أبي طالب لما احتضرته الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج بها لك عند الله ، فقال : يا ابن أخي قد علمت انك لصادق ولكن أكره

أن يقال جزع عند الموت ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة" لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك وأنشد :

لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف . وهناك روايات أخرى مختلفة لاتخرج عن هذه الفحوى .

وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾

الاعراب :

(وقالوا : إن نتبع الهدى معك نتخطّفْ من أرضنا) الواو حرف عطف والجملة معطوفة على ما تقدم فهي بمثابة تفريع على قصة أبي طالب ، قالوا : إن الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : إنا نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب أن يتخطفونا من أرضنا . وإن شرطية ونتبع فعل الشرط مجزوم وفاعله مستتر تقديره نحن والهدى مفعول به ومعك ظرف متعلق بمحذوف حال ونتخطف جواب الشرط وهو فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره نحن ومن أرضنا متعلقان بنتخطف . (أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) الهمزة للاستفهام الانكاري والواو عاطفة على محذوف يقتضيه السياق وبه يرد عليهم دعواهم التي لا أساس لها من الصحة بأنه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته وسيأتي المزيد من هذا المعنى في باب البلاغة . ولم حرف نفي وقلب وجزم ونمكن فعل مضارع مجزوم بلم والفاعل مستتر تقديره نحن ولهم متعلقان بنمكن وحرماً مفعول به وآمناً صفة وجملة يجبى صفة ثانية لحرماً ومعنى يجبى اليه يساق ويحمل اليه ويجمع لازدهاره وإليه متعلقان بيجبى وثمرات كل شيء نائب فاعل ورزقاً مفعول مطلق لقوله يجبى لأن معنى الجباية والرزق واحد والمراد تساق اليه الميرة وأعربه آخرون مفعولاً لأجله وأجازه الزمخشري وفي النفس منه شيء ويجوز أن يكون رزقاً مصدراً بمعنى المفعول فينتصب على الحال من الثمرات لتخصصها بالإضافة ومن لدنا صفة لرزقاً والواو حالية أو عاطفة ولكن أكثرهم لكن واسمها وجملة لا يعلمون خبرها .

(وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) يجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً مسوقاً لتخويف أهله من سوء مغبة من كانوا في نعمة فغمطوها وقابلوها بالبطر ، والبطر بفتحتين النشاط والأشر وقلة احتمال النعمة والدهش والحيرة والطغيان بالنعمة وكراهة الشيء من غير أن يستحق الكراهة ، قال في القاموس : « وفعل الكل كفرح وبطر الحق أن يتكبر عنه فلا يقبله » ويجوز أن يكون معطوفاً على ما قبله ليتساوق الكلام . وكم خبرية مفعول مقدم لأهلكنا ومن قرية تمييز كم الخبرية المجرور بمن وقد تقدم تقرير ذلك فجدد به عهداً وجملة بطرت صفة لقرية ومعيشتها منصوب بنزع الخافض على حد قوله : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً » أي في معيشتها وهذا أقرب ما قيل فيه وأقله تكلفاً وقال الزجاج هو نصب على الظرفية الزمانية أي أيام معيشتها ويجوز تضمين بطرت معنى خسرت فتكون معيشتها مفعولاً به واقتصر عليه أبو البقاء . (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين) فتلك الفاء عاطفة وتلك مبتدأ ومساكنهم خبر وجملة لم تسكن يجوز أن تكون خبراً ثانياً ويجوز أن تكون حالاً والعامل فيها معنى الاشارة وإلا أداة حصر وقليلاً ظرف أي إلا وقتاً قليلاً فالاستثناء من الظرف أو مفعول مطلق أي إلا سكنى قليلاً فالاستثناء من المصدر ولا مرجح لأحد الوجهين ، والواو عاطفة أو حالية وكنا كان واسمها ونحن ضمير فصل أو عماد والوارثين خبر كنا وسيأتي مزيد من هذا المعنى في باب البلاغة .

(وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا) كلام مستأنف مسوق لبيان عادة الله تعالى في عباده ، وما نافية وكان ربك كان واسمها ومهلك القرى خبرها وحتى حرف

تعليل وجر ويبعث فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد حتى والفاعل مستتر يعود على الله وفي أمها متعلقان بيبعث ورسولاً مفعول به وجملة يتلو صفة لرسولاً وعليهم متلعقان بيتلو وآياتنا مفعول به والمراد بأمها أعظمها والتعميم هنا خير من تخصيصها بسكة • (وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون) الواو عاطفة وما نافية وكان واسمها ومهلكي القرى خبرها وإلا أداة حصر والواو حالية وأهلها مبتدأ وظالمون خبر والجملة حالية فالاستثناء من أعم الأحوال أي وما كنا نهلكهم في حال من الأحوال إلا في حال كونهم ظالمين • (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) الواو عاطفة أو استئنافية وما اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وأوتيتم فعل ماض مبني للمجهول وهو في محل جزم فعل الشرط والتاء نائب فاعل ومن شيء حال مبينة لمن والفاء رابطة للجواب ومتاع خبر لمبتدأ محذوف والحياة مضاف اليه والدنيا صفة وزينتها عطف على متاع والجملة في محل جزم جواب الشرط والفعل والجواب خبر ما • (وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون) الواو حالية وما اسم موصول مبتدأ وعند الله ظرف متعلق بمحذوف صلة للموصول وخير خبر وأبقى عطف على خير والهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على محذوف يقتضيه السياق ولا نافية وتعقلون فعل مضارع مرفوع وفاعل •

البلاغـة :

الإسناد المجازي :

في قوله « حرماً آمناً » إسناد مجازي لأن المراد أهل الحرم وقد تقدم بحثه كثيراً ومثله « وكم أهلكنا من قرية » المراد أهلها بدليل

قوله فيما بعد « فتلك مساكنهم لم تسكن إلا قليلاً » أي لقد زهوا بها حيناً من الدهر وغرتهم الأماني ، وأبطرتهم النعمة ، وكان ديدنهم ديدن المترفين الرافلين في حلل السعادة ، فما عتموا أن فنوا وطوتهم الأيام وبقيت آثارهم شواخص ، أطلالاً باهتة ، ورسوماً محيلة ، تهزأ بهم ، وتدل الآخرين على أفن رأيهم وطيش أحلامهم • وقد رمق المتنبي سماء هــذه البلاغة العالية في قصيدته الخالدة التي رثى بها أبا شجاع فاتكاً فقال بيته المشهور :

تتخلف الآثار عن أصحابهــا … حيناً ويدركهــا الفناء فتتبــع

يريد أن الآثار ، وهي البنيان ، تبقى بعــد أربابها لتدل عــلى تسكنهم وقوتهم وسطوتهم ثم ينالهــا بعدهم ما نالهــم من الفناء وأن الخراب سيدركها فتذهب الآثار كما ذهب المؤثرون لها فهذه هي عادة الدنيا بأهلها ، وهذا هو المعهود من تصاريفها ، ويحسن بنا أن نورد لك نخبة مختارة من هذه القصيدة جرياً على شرطنا في هذا الكتاب :

الحزن يقلق والتجمــل يردع … والدمــع بينهما عصيٌّ طيّع

يتنازعان دموع عيد مسهَّدٍ … هذا يجيء بها وهــذا يرجع

النوم بعــد أبي شجاع نافر … والليل معي والكواكب ظلّع

قال ابن جني «لو كان الليل والكواكب مما يؤثر فيهما حزن لأثر فيهما موته» وقــال الخطيب : « إنمــا أراد أن الليــل طويل لفقــده فالليل معي والكواكب ظلع ما تسير » وقال الواحدي « النوم بعده لا يألف العين

فلا تنام حزناً عليه والليــل من طوله كأنه قد أعيا عن المشي فانقطـع والكواكب كأنها ظالعة لا تقدر أن تقطع الفلك فتغرب ، كل هــذا يصف به ليله بعده من الحزن عليه » وقال الواحدي: وتوفي أبو شجاع فاتك بمصر ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة٣٥٠ هـ .

ومضى أبو الطيب يقول :

إني لأجبُــن ُ عــن فراق أحبــتي

وتحس نفسي بالحمــام فأشجــع

ويزيدني غضب الأعــادي قســوة

ويئلـم بي عتب الصــديق فأجـزع

تصفو الحيــاة لجاهــل أو غافــل

عمــا مضــى منهــا وما يُتوقــع

ولمــن يغــالط في الحقائق نفســه

ويسومهــا طلب المحال فتطمــع

أين الــذي الهرمــان من بنيانــه

ما قومــه ؟ ما يومــه ؟ ما المصــرع ؟

تتخلف الآثار البيت

أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ (٦١) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢) قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣) وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ (٦٤)

الاعراب :

﴿ أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾ الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة لترتيب إنكار التساوي بين أهل الدنيا وأهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين الجانبين ومن اسم موصول مبتدأ وجملة وعدناه صلة وكمن خبرها ووعدناه فعل وفاعل ومفعول به ووعداً مفعول مطلق وحسناً صفة والفاء عاطفة وهو مبتدأ ولاقيه خبر والكاف اسم بمعنى مثل خبر أو جار ومجرور في موضع الخبر وجملة متعناه صلة من ومتاع الحياة الدنيا مفعول مطلق وثم حرف عطف وهو مبتدأ ويوم القيامة ظرف متعلق بالمحضرين ومن المحضرين خبر هو وللزمخشري كلام مفيد في تحليل هذه الآية من الناحية الاعرابية نورده فيما يلي :

« فإن قلت فسر لي الفاءين وثم وأخبرني عن مواقعها قلت : قد ذكر في الآية التي قبلها متاع الحياة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله : أفمن وعدناه على معنى أبعد ، هذا التفاوت الظاهر يسوّي بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا فهذا معنى الفاء الأولى وبيان موقعها وأما الثانية فللتسبيب لأن لقاء الموعود مسبّب عن الوعد الذي هو الضمان في الخير وأما ثم فلتراخي حال الاحضار عن حال التمتيع لا لتراخي وقته عن وقته » .

(ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) الظرف متعلق بفعل محذوف تقديره اذكر والكلام مستأنف وجملة يناديهم مجرورة بإضافة الظرف اليها والفاعل مستتر تقديره هو يعود على الله والهاء مفعول به ، والقصد من هذا النداء التوبيخ والتقريع ، فيقول عطف على يناديهم وأين اسم استفهام في محل نصب على الظرفية المكانية وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم وشركائي مبتدأ مؤخر والذين صفة لشركائي وجملة كنتم صلة الذين وكان واسمها وجملة تزعمون خبرها ومفعولا تزعمون محذوفان تقديرهما تزعمونهم شركائي ، وسيأتي في باب الفوائد ذكر حذف مفعولي ظننت وأخواتها ، وجملة أين شركائي مقول القول .

(قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا) كلام مستأنف مسوق للإجابة عن سؤال مقدر كأنه قيل فماذا صدر عنهم حينئذ . وقال الذين فعل وفاعل وجملة حق عليهم صلة والقول فاعل وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء

وهؤلا مبتدأ والذين صفة لهؤلاء وجملة أغوينا صلة وجملة أغويناهم خبر هؤلاء وكما أغوينا نعت لمصدر محذوف أي أغويناهم فغووا غياً مثل ما غوينا وقد جرينا في هـذا الاعراب عـلى ما أعربه الزمخشري وأبو حيان •

(تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون) الجملة مفسرة مقررة لما قبلها وتبرأنا فعل ماض وفاعل وإليك متعلقان بتبرأنا وما نافية وكان واسمها وإيانا مفعول مقدم ليعبدون وجملة يعبـدون خبر كانوا ، وأجاز أبو البقـاء أن تكون ما مصـدرية والمصـدر منصوب بنزع الخافض أي مما كانوا يعبدون أي من عبادتهم إيانا ولا أرى داعياً لهـذا التكلف لأن المعنى ما كانوا يعبـدوننا وانما كانوا يعبدون أهواءهم ويسترسلون مع شهواتهم • (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لـهم) الواو عاطفة وقيل فعـل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعـل مستتر تقديره هـذا القول تهكماً بهم وتبكيتاً لهم وادعوا فعل أمر وفاعله وشركاءكـم مفعول به فدعوهم الفاء عاطفـة ودعوهم فعل ماض وفاعل ومفعول به ، والفاء عاطفة ويستجيبوا فعل مضارع مجزوم بلـم والواو فاعـل ولهم متعلقـان بيستجيبوا •

(ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) الواو عاطفة ورأوا العذاب فعل ماض وفاعل ومفعول به ولو شرطية وان وما بعدها فاعل لفعل محذوف أي لو ثبت كونهم مهتـدين في الدنيا لما رأوا العـذاب في الآخرة وان واسمهـا وجملة كانوا خبرها وكان واسمهـا وجمـلة يهتدون خبرها •

الفوائـد :

يجوز بإجماع النحاة حذف مفعولي ظننت وأخواتها من أفعال القلوب اختصاراً لدليل يدل عليهما نحو « أين شركائي الذين كنتم تزعمون » وقول الكميت يمدح آل البيت :

بأي كتـاب أم بأيـة سنة ترى حبهم عاراً عليّ وتحسب

فحـذف في الآيـة مفعولا تزعمون وفي البيت مفعولا تحسب لدليل ما قبلهما عليهما أي تزعمونهم شركاء وتحسب حبهم عاراً علي ، وأما حذف أحدهما اختصاراً لدليل فقد أجازه الجمهور كقوله تعالى « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم » تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون ما يبخلون به هو خيراً لهم فحذف المفعول الأول للدلالة عليه ، وكقول عنترة :

ولقد نزلت فلا تظني غـيره مني بمنزلـة المحب المكـرم

تقديره فلا تظني غـيره مني واقعاً ، فحـذف المفعول الثاني ، والتاء في نزلت مكسورة والحاء والراء من المحب المكرم مفتوحتان .

وفي الباب الخامس من المغني بيان انه قد يظن الشيء من باب الحذف وليس منه : جرت عادة النحويين أن يقولوا : يحذف المفعول اختصاراً واقتصاراً ويريدون بالاختصار الحذف لدليل وبالاقتصار الحذف لغير دليل ويمثلونه بنحو « كلوا واشربوا » أي أوقعوا هذين الفعلين ، وقول العرب فيما يتعدى الى اثنين : من يسمع يخـل ، أي تكن منـه

خيلة • والتحقيق أن يقال إنه تارة يتعلق الغرض بالاعلام بمجرد وقوع الفعل من غير تعيين من أوقعه أو من أوقع عليه فيجاء بمصدره مسنداً الى فعل كون عام ، فيقال حصل حريق أو نهب • وتارة يتعلق بالاعلام بمجرد إيقاع الفاعل للفعل فيقتصر عليهما ولا يذكر المفعول ولا ينوى إذ المنويّ كالثابت ولا يسمى محذوفاً لأن الفعل ينزل لهذا القصد بمنزلة مالا مفعول له، ومنه : « ربي الذي يحيي ويميت ، هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، كلوا واشربوا ولا تسرفوا، وإذا رأيت ثم » إذ المعنى ربي الذي يفعل الإحياء والإماتة ، وهل يستوي من يتصف بالعلم ومن ينتفي عنه العلم ، وأوقعوا الأكل والشرب وذروا الاسراف ، وإذا حصلت منك رؤية هنالك ، ومنه على الأصح : « ولما ورد ماء مدين » الآية ، ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام إنما رحمهما إذ كانتا على صفة الذياد وقومهما على السقي لا لكون مذودهما غنماً ومسقيهم إبلاً ، وكذلك المقصود من قولهما « لا نسقي » لا المسقي ، ومن لم يتأمل قدّر : يسقون إبلهم وتذودان غنمهما ولا نسقي غنمنا • وتارة يقصد إسناد الفعل الى فاعله وتعليقه بمفعوله فيذكران نحو « لا تأكلوا الربا ، ولا تقربوا الزنا » وقولك ما أحسن زيداً ، وهذا النوع إذا لم يذكر مفعوله قيل محذوف نحو « ما ودعك ربك وما قلى » وقد يكون في اللفظ ما يستدعيه فيحصل الجزم بوجوب تقديره نحو : « أهذا الذي بعث الله رسولا ، وكلٌّ وعد الله الحسنى » و :

حميت حمى تهامة بعد نجد   وما شيء حميتَ بمستباح

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

الاعراب :

(ويوم يناديهم فيقول : ماذا أجبتم المرسلين ؟) كلام معطوف على ما قبله فقد سئلوا أولاً عن إشراكهم وسئلوا ثانياً عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك ، فيقول عطف على يناديهم وماذا اسم استفهام بكاملها في محل نصب لمفعول مطلق لا مفعول به لأن أجاب لايتعدى الى الثاني بنفسه بل بالباء ، واسقاط الجار ليس بقياس والمعنى أجبتموهم أي إجابة ، والمرسلين مفعول به لأجبتم . (فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون) الفاء عاطفة وعميت عليهم الأنباء فعل وفاعل وسيأتي بحث إسناد العمى للأنباء في باب البلاغة ، ويومئذ ظرف أضيف الى مثله والتنوين في يومئذ عوض عن جملة ، أي : يوم ، إذ نودوا وقيل لهم ماذا أجبتم المرسلين ، فهم الفاء عاطفة

وهم مبتدأ وجملة لا يتساءلون خبر . (فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين) كلام مستأنف مسوق لبيان حال المؤمنين بعد بيان حال الكافرين وأما حرف شرط وتفصيل ومن اسم موصول مبتدأ وجملة تاب صلة وعمل صالحاً فعل وفاعل مستتر ومفعول به أو مفعول مطلق أي عمل عملاً صالحاً والفاء رابطة وعسى فعل ماض جامد من أفعال الرجاء التي تعمل عمل كان واسمها مستتر تقديره هو وأن وما في حيزها خبرها والرجاء من الكرام بمثابة التحقيق أو يكون الرجاء على بابه ولكنه من قبل التائب ومن المفلحين خبر يكون . (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون) الواو استئنافية وربك مبتدأ وجملة يخلق خبر وما مفعول به ويشاء صلة ويختار عطف على يخلق وما نافية وكان فعل ماض ناقص ولهم خبرها المقدم والخيرة اسمها المؤخر والجملة مفسرة لأنها مقررة لما قبلها ، ويجوز أن تكون مستأنفة ، وقيل إن ما مصدرية أي يختار اختيارهم والمصدر واقع موقع المفعول أي مختارهم ،وقيل ان ما موصولة بمعنى الذي والعائد محذوف أي ما كان لهم الخيرة فيه ، وقيل أيضاً ان كان تامة ، وجملة لهم الخيرة كلام مستأنف وسبحان الله مفعول مطلق لفعل محذوف وتعالى فعل ماض وفاعله هو وعما متعلقان بتعالى وجملة يشركون صلة .

(وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) الواو عاطفة وربك مبتدأ وجملة يعلم خبر وما مفعول به وتكن صلة وصدورهم فاعل وما عطف على ما الأولى وجملة يعلنون صلة . (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون) وهو

مبتدأ والله خبر وجملة لا إله إلا هو خبر ثان وقد تقدم اعراب كلمة التوحيد والاختلاف فيها وله خبر مقدم والحمد مبتدأ مؤخر والجملة خبر ثالث وفي الأولى حال والآخرة عطف على الأولى واليه متعلقان بترجعون وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع والواو نائب فاعل •

البلاغة :

١ ــ إسناد العمى الى الأنباء مجاز عقلي وقد تقدم كثيراً والمراد أن الأنباء صارت كالعمى لا تهتدي اليهم وقيل انه من باب القلب وان أصله فعموا عن الأنباء والقلب ، كما تقدم ، من محسنات الكلام •

٢ ــ الادماج :

في قوله « له الحمد في الأولى والآخرة » الادماج ، وحدّه أن يدمج المتكلم إما غرضاً في غرض أو بديعاً في بديع بحيث لا يظهر في الكلام إلا أحد الغرضين أو أحد البديعين والآخر مدمج في الغرض الذي هو موجود في الكلام ، فإن هذه الآية أدمجت فيها المبالغة في المطابقة لأن انفراده سبحانه بالحمد في الآخرة وهي الوقت الذي لا يحمد فيه سواه مبالغة في وصف ذاته بالانفراد والحمد وهذه وإن خرج الكلام فيهما مخرج المبالغة في الظاهر فالأمر فيها حقيقة في الباطن لأنه أولى بالحمد في الدارين ورب الحمد والشكر والثناء الحسن في المحلين حقيقة ، وغيره من جميع خلقه إنما يحمد في الدنيا مجازاً ، وحقيقة حمده راجعة الى ولي الحمد سبحانه •

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

اللغـــة :

(سرمداً) : السرمد : الدائم المتصـــل وقد اختلف العلماء في اشتقاقه فقيل هو من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة ووزنه فعمل كما في دلامص من الدلاص يقال درع دلاص أي ملساء متينة وهذا ما رجحه الزمخشري وغيره واختار صاحب القاموس وبعض النحاة أن الميم أصلية ووزنه فعلل لأن الميم لا تنقاس زيادتهـا في الوسـط والآخر .

الاعراب :

(قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة) الهمزة للاستفهام ورأيتم فعل وفاعل أي أخبروني وإن شرطية وجعل

الله عليكم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والله فاعل وعليكم حال والليل مفعول جعل الأول وسرمداً مفعوله الثاني والى يوم القيامة صفة لسرمداً وقد علقت أرأيتم عن العمل بسبب الاستفهام وجواب الشرط محذوف يقدر بما يقتضيه السياق وتقديره فأخبروني .

(مَن إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون) الجملة الاستفهامية في محل نصب مفعول أرأيتم ومن اسم استفهام مبتدأ وإله خبر وغير الله صفة إله وجملة يأتيكم صفة ثانية لإله وبضياء جار ومجرور متعلقان بيأتيكم ، أفلا الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي والفاء عاطفة على محذوف مقدر ولا نافية ويسمعون فعل مضارع والواو فاعل .

(قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة مَن إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) تقدم اعرابها .

(ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) من رحمته خبر مقدم وجعل لكم مؤول بمصدر بتقدير أن مبتدأ مؤخر وهو كثير في كلامهم ومنه المثل :

تسمع بالمعيدي خير من أن تراه . وجعل فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ولكم مفعول جعل الثاني والليل مفعول جعل الأول والنهار عطف على الليل ، وزاوج بينهما لنكتة سيرد تفصيلها في باب البلاغة ، ولتسكنوا اللام للتعليل وتسكنوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والواو فاعل وفيه متعلقان بتسكنوا ولتبتغوا من فضله عطف على لتسكنوا ولعلكم لعل واسمها وجملة تشكرون خبرها .

(ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) تقدم اعرابها بلفظها قريباً فجدد به عهداً . (ونزعنا من كل أمة شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم) الواو عاطفة ليتساوق الكلام ونزعنا فعل وفاعل أي أخرجنا

ومن كل أمة متعلقان بنزعنا وشهيداً مفعول به ، فقلنا عطف على نزعنا وجملة هاتوا مقول القول وهاتوا فعل أمر وفاعل وبرهانكم مفعول به • (فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون) الفاء عاطفة وعلموا فعل ماض وفاعل وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي علموا وأن واسمها ولله خبرها وضل فعل ماض وعنهم متعلقان بضل وما فاعل وجملة كانوا صلة وكان واسمها وجملة يفترون خبرها •

البلاغة :

١ ـ المناسبة :

في قوله « أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً » الى قوله « أفلا تبصرون » فن المناسبة وهي ضربان : مناسبة في المعاني ومناسبة في الألفاظ فالمعنوية هي أن يبتدىء المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ ، فإنه سبحانه لما أسند جعل الليل سرمداً الى يوم القيامة لنفسه وهو القادر الذي جعل الشيء لا يقدر غيره على مضادته قال « أفلا تسمعون » لمناسبة السماع للطرف المظلم من جهة صلاحية الليل للسماع دون الإبصار لعدم نفوذ البصر في الظلمة ، ولما أسند جعل النهار سرمداً الى يوم القيامة لنفسه كأن لم يخلق فيه ليل البتة قال في فاصلة هذه الآية « أفلا تبصرون » لمناسبة ما بين النهار والإبصار •

أما المناسبة اللفظية فسيأتي حديثها في هذا الكتاب •

٢ ــ اللف والنشر :

اللف والنشر في قوله « وَمن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » وقد تقدم بحث هذا الفن وذكرنا انه عبارة عن ذكر متعدد على وجه التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من المتعدد من غير تعيين ثقة بأن السامع يميز ما لكل واحد منها ويرده الى ما هو له ، فقد زاوج بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة أولها : لتسكنوا في أحدهما وهو الليل ، ولتبتغوا من فضل في ثانيهما وهو النهار ، ولإرادة شكركم وهذا من أطرف ما يتفنن به المتكلم نثراً أو شعراً .

٣ ــ صحة المقابلات :

وفي هذه الآية أيضاً فن عرفوه بأن صحة المقابلات ، وهو عبارة عن توخي المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي فإذا أتى في صدره بأشياء قابلها في عجزه بأضدادها أو بأغيارها من المخالف والموافق على الترتيب بحيث يقابل الأول بالأول والثاني بالثاني ولا يخرم من ذلك شيئاً في المخالف والموافق ومتى أخل بالترتيب كان الكلام فاسد المقابلة ، وهذه الآية من معجز هذا الباب ، فقد جاء الليل والنهار في صدر الكلام وهما ضدان وجاء السكون والحركة في عجزه وهما ضدان ومقابلة كل طرف منه بالطرف الآخر على الترتيب ، وعبر سبحانه عن الحركة بلفظ الارداف فاستلزم الكلام ضرباً من المحاسن زائداً على المقابلة والذي أوجب العدول عن لفظ الحركة الى لفظ ابتغاء الفضل كون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة وابتغاء الفضل حركة للمصلحة دون المفسدة وهي اشتراك الإعانة بالقوة وحسن الاختيار

الدال على رجاحة العقل ، وسلامة الحسّ ويستلزم إضاءة الطرف الذي تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه ليهتدي المتحرك الى بلوغ المآرب ووجوه المصالح ويتقي أسباب المعاطب ، والآية سيقت للاعتداد بالنعم فوجب العدول عن لفظ الحركة الى لفظ هو ردفه وتابعه ليتم حسن البيان فتضمنت هذه الكلمات التي هي بعض آية عدة من المنافع والمصالح التي لو عددت بألفاظها الموضوعة لها لاحتاجت في العبارة عنها الى ألفاظ كثيرة فحصل بهذا الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحاسن ألا تراه سبحانه جعل العلة في وجود الليل والنهار حصول منافع الانسان حيث قال « لتسكنوا » و « لتبتغوا » بلام التعليل فجمعت هذه الكلمات المقابلة والتعليل والاشارة والإرداف والائتلاف وحسن النسق وحسن البيان لمجيء الكلام فيها متلاحماً آخذة أعناق بعضه بأعناق بعضه ، ثم أخبر بالخبر الصادق أن جميع ما عدده من النعم التي هي من لفظي الإشارة والإرداف بعض رحمته حيث قال بحرف التبعيض « ومن رحمته » وكل هذا في بعض آية عدتها إحدى عشرة لفظة ، فالحظ هذه البلاغة الظاهرة والفصاحة المتظاهرة .

٤ ــ التفسير :

وفي قوله « ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » فن التفسير وهو أن تذكر أشياء ثم تفسرها بما يناسبها ، ومنه قول ابن حيوس .

ومقرطق يغني النديم بوجهه ... عن كأسه الملأى وعن إبريقه

فعل المدام ولونها ومذاقها ... في مقلتيه ووجنتيه وريقه

* إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾

اللغـــة :

(لتنوء بالعصبة) أي تنوء بها العصبة أن تتكلف النهوض بها وسيأتي مزيد عن القلب في هذا التعبير في باب البلاغة، يقال ناء ينوء نوءاً وتَنْوَاء : نهض بجهد ومشقة وناء به الحمل أثقله وأماله وناء النجم سقط في المغرب مع الفجر وطلع آخر يقابله من ساعته في المشرق وفي المصباح: « وناء ينوء نوءاً مهموز من باب قال : نهض » وفي القاموس: ناء بالحمل نهض متثاقلاً وناء به الحمل أثقله وأماله كأناءه وناء فلان أثقل فسقط ضد .

(المفاتح): جمع مفتاح وكان حقه أن يجمع على مفاتيح ولكن هذه الياء قد تحذف كما أنهم قد يجتلبون ياء في الجمـع الذي لا ياء فيه وقيل إن مفاتحه جمع مفتح فلا حذف فيه .

الاعراب :

(إن قارون كان من قوم موسى) كلام مستأنف مسوق لذكر قصة قارون وما تنطوي عليه من عظات وعبر ، وإن حرف مشبه بالفعل وقارون اسمها وهو علم أعجمي مثـل هارون ولم ينصـرف للعلمية والعجمة ولو كان فاعولاً من قرن لانصرف ، وستأتي قصته قريباً ؛ وجملة كان خبر إن واسم كان مستتر يعود على قارون ومن قوم موسى خبر كان أي ابن عمه أو ابن خالته وآمن به كمـا سيأتي . (فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة) الفاء عاطفة وبغى فعل ماض وفاعله مستتر يعود عـلى قارون وعليهم متعلقان ببغى وآتيناه فعـل ماض وفاعـل ومفعول به ومن الكنوز

متعلقان بآتيناه وما اسم موصول مفعول به ثان لآتيناه وإن حرف مشبه بالفعل ومفاتحه اسم إن ولتنوء اللام المزحلقة وتنوء فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هي يعود على المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به والجملة خبر إن وجملة إن مفاتحه لتنوء بالعصبة لا محل لها لأنها صلة وبالعصبة متعلقان بتنوء وأولي القوة صفة للعصبة . (إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) الظرف متعلق بتنوء وقيل باذكر مضمراً وقال أبو البقاء : « ظرف لآتيناه ، ويجوز أن يكون ظرفاً لفعل محذوف دل عليه الكلام أي بغى إذ قال له قومه » وجملة قال في محل جر بإضافة الظرف اليها وله متعلقان بقال وقومه فاعل وجملة لا تفرح مقول القول ولا ناهية وتفرح فعل مضارع مجزوم بلا وفاعل تفرح مستتر تقديره أنت وجملة إن الله تعليل للنهي وسيأتي سر هذا التعليل في باب البلاغة وان واسمها وجملة لا يحب الفرحين خبرها .

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) الواو عاطفة وابتغ فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله مستتر تقديره أنت وفي حرف جر وما مصدرية أو موصولية والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي متقلباً فيما آتاك ومعنى « في » هنا السببية وجملة آتاك الله لا محل لها وآتاك الله فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر والدار مفعول ابتغ والآخرة صفة للدار ولا تنس لا ناهية وتنس فعل مضارع مجزوم بلا وفاعله مستتر تقديره أنت ونصيبك مفعول به ومن الدنيا متعلقان بمحذوف على أنه حال والنصيب ما يكفيك ويسد حاجتك ويصلح أمورك ، وسيأتي مزيد

بحث من النصيب والمراد منه في باب البلاغة . (وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحبّ المفسدين) الواو عاطفة وأحسن فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وكما نعت لمصدر محذوف أي إحساناً مثل الاحسان الذي أحسن الله به إليك وإليك متعلقان بأحسن ولا تبغ الفساد عطف على ما تقدم وفي الأرض متعلقان بالفساد أو بتبغ وجملة إن الله تعليل للنهي المتقدم وان واسمها وجملة لا يحب المفسدين خبرها . (قال : إنما أوتيته على علم عندي) استئناف مسوق للإجابة عن قولهم إن ما عندك تفضل وإنعام من الله فأنفق منه شكراً لمن أنعم به عليك ، وإنما كافة ومكفوفة وأوتيته فعل ماض مبني للمجهول والتاء نائب فاعل والهاء مفعول به ثان وعلى علم في موضع الحال من نائب الفاعل في أوتيته وعندي ظرف متعلق بمحذوف صفة لعلم أي إنما أوتيته حال كوني متصفاً بالعلم الذي عندي . قالوا : لم يكن في بني اسرائيل أعلم منه بالتوراة بعد موسى وهارون . (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً) الهمزة للاستفهام الانكاري والواو عاطفة على مقدر دخلت عليه الهمزة ، أي أعلم ما ادعاه أو لم يعلم ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ويعلم فعل مضارع مجزوم بلم وفاعله ضمير مستتر تقديره هو يعود على قارون وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلم وأن واسمها وجملة قد أهلك خبرها وفاعل أهلك ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله ومن قبله متعلقان بأهلك ومن القرون حال من « من هو أشد » مقدمة عليه ومن اسم موصول مفعول به لأهلك وهو مبتدأ وأشد خبر والجملة صلة الموصول وقوة تمييز ومنه متعلقان بأشد وأكثر جمعاً عطف على أشد منه قوة .

(ولا ُيسأل عن ذنوبهم المجرمون) الواو عاطفة لتربط الجملة بما قبلها علـى سبيل التهديد والوعيد أي ان الله مطلـع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سؤال عنها ، ولا نافية ويسأل فعل مضارع مبني للمجهول وعن ذنوبهم متعلقان بيسأل والمجرمون نائب فاعل • (فخرج على قومه في زينته) الفاء عاطفة على قال « إنما أوتيته على علم » وما بينهما اعتراض وعـلى قومـه متعلقان بخرج وفي زينته متعلقان بمحذوف حال أي متبختراً في زينته متقلباً في تعاجيبه ، وسيأتي وصف مسهب للزينة التي خرج حالياً بها • (قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لـذو حظ عظيم) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان الشعور الذي خالج المؤمنين والكافرين عـلى السواء عندما رأوا هذا النعيم المتدفق والرواء العجيب جرياً على ديدن البشر من تمني المناعم • وقال الذين فعـل وفاعـل وجملة يريدون صلة والحياة مفعول به والدنيا صفة للحياة ويا حرف نداء والمنادى محذوف وليت حرف تمن ونصب ولنا خبرهـا ومثـل اسمها المؤخر وما اسم موصول مضاف اليه وجملة أوتي صلة وهو فعل ماضي مبني للمجهول وقارون نائب فاعل وهـذا التمني على سبيل الغبطة وهي أن يتمنى الانسان مثل نعمة صاحبه من غـير أن يتمنى زوالها منه أما الحسد فهي تمني النعمة التي يتمتع بها المحسود وزوالها عنه ، وفي الحديث : « قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هل يضر الغبط ؟ فقال : لا إلا كما يضرّ العضاة الخبط » والعضاة كـل شجر يعظم فيه شوك والخبط ضرب الشجرة بالعصا ليسقط ورقها • وان واسمها واللام المزحلقة وذو حظ خبرها وعظيم صفة لحظ • والحظ : البخت والجد يقال رجل مبخوت ومجدود كما يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا إلا أحاظ قسّمت وجدود •

(وقال الذين أوتوا العلم ويلكم) وقال الذين فعل وفاعل وجملة أوتوا العلم صلة وويلكم مفعول لفعل محذوف على سبيل الردع أي ألزمكم الله ويلكم . (ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يُلقّاها إلا الصابرون) ثواب الله مبتدأ وخير خبر ولمن متعلقان بخير وجملة آمن صلة وعمل صالحاً عطف على آمن والواو عاطفة ولا نافية ويلقاها فعل مضارع مبني للمجهول والهاء مفعول به ثان وإلا أداة حصر والصابرون نائب فاعل مؤخر وهو المفعول الأول والضمير يعود على الإثابة أو الأعمال الصالحة . (فخسفنا به وبداره الأرض) الفاء هي الفصيحة أي إن شئت أن تعلم مصيره وما آل اليه أمره ، وخسفنا فعل وفاعل وبه متعلقان بخسفنا وبداره عطف على به والأرض مفعول به ، والخسف له معان كثيرة منها خسف المكان يخسف خسوفاً من باب ضرب أي ذهب في الأرض وغرق وخسف القمر ذهب ضوءه وخسفت العين ذهب ضوءها وغابت وخسف في الأرض وخسف به فيها غاب ، وفي حديث ابن عباس وأبي هريرة بسند ضعيف عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من لبس ثوباً جديداً فاختنال فيه خسف به من شفير جهنم فهو يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها » قال في فتح الباري : « ان مقتضى الحديث أن الأرض لا تأكل جسده فيمكن أن يلغز ويقال لنا : كافر لا يبلى جسده بعد الموت وهو قارون » وفي القاموس : التجلجل السوخ في الأرض والتحرك والتضعضع والجلجلة التحريك . (فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) الفاء عاطفة وما نافية وكان فعل ماض ناقص وله خبرها المقدم ومن حرف جر زائد وفئة مجرور لفظاً بمن مرفوع محلاً على أنه اسم كان وجملة ينصرونه صفة لفئة أو هي خبر كان وله متعلقان بمحذوف حال ويجوز أن تكون

كان تامة وفئة فاعل كان ومن دون الله حال من فئة وما نافية وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر تقديره هو يعود على قارون ومن المنتصرين خبر كان . (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون) الواو عاطفة وأصبح فعل ماض ناقص والذين اسمها وجملة تمنوا صلة ومكانه مفعول به وبالأمس متعلقان بتمنوا وجملة يقولون خبر أصبح ويجوز أن تكون أصبح تامة والذين هو الفاعل وجملة يقولون في محل نصب على أنها حال أي قائلين . (وي كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) وي فيه مذاهب نختار منها واحداً وسنورد الباقي في باب الفوائد ، فهي اسم فعل مضارع معناه أتعجب والكاف حرف جر وان حرف مشبه بالفعل وهي مع مافي حيزها في محل جر بالكاف والجار والمجرور متعلقان بوي ومعنى الكاف هنا التعليل لا التشبيه والله اسمها وجملة يبسط الرزق خبر أن والرزق مفعول به ولمن متعلقان بيبسط وجملة يشاء صلة ومن عباده حال ويقدر عطف على يبسط . (لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا) لولا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط وأن وما في حيزها مصدر مؤول مرفوع بالابتداء والخبر محذوف وجوباً ومنّ الله فعل وفاعل وعلينا متعلقان بمنّ واللام واقعة في جواب لولا وجملة خسف بنا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومفعول خسف محذوف أي الأرض . (وي كأنه لا يفلح الكافرون) تقدم اعرابها وسيأتي المزيد منه قريباً وهو تأكيد لما قبله .

البلاغـة :

١ ـ القلب :

في قولـه تعـالى : « وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحـه لتنوء

بالعصبة) في هذا التعبير فن القلب وقد تقدم القول فيه ، والأصل لتنوء العصبة بالمفاتح أي لتنهض بها بجهد ، قال أبو عبيد : هو كقولهم عرضت الناقة على الحوض وأصله عرضت الحوض على الناقة وقول حسان بن ثابت :

كأن سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء

على أنيابها أو طعم غضّ من التفاح هصره اجتناء

ويروى كأن سلافة ، والسلافة أول ما يسيل من ماء العنب أما سبيئة فمعناه مشتراة يقال سبأ الخمر كنصر اذا اشتراها ويروى أيضاً خبيئة أي مصونة في الخابية وبيت رأس قرية بالشام اشتهرت بجودة الخمر ، وقد وقع بين صاحب القاموس وصاحب الصحاح خلاف بين سبيئة فقال صاحب القاموس وقد وهم الجوهري وانما سبى الخمر سبياً وسِباء حملها من بلد الى بلد ، ومزاجها خبر يكون مع أنه معرفة وعسل اسمها مع أنه نكرة وكان القياس العكس فقلب الكلام ، وتأوله الفارسي بأن انتصاب مزاجها على الظرفية المجازية ، وروي برفع الكلمات الثلاث على أن اسم كان ضمير الشأن وجملة يكون صفة سبيئة وعلى أنيابها في البيت الثاني خبر كأن المشددة والمزاج ما يمزج به غيره والمراد بالانياب الثغر كله فهو مجاز ، والغض الطري الرطب وهو صفة لموصوف محذوف أي طعم عضن غض ، والهصر عطف الغصن وإمالته اليك من غير إبانة لتجني ثمره والتهصير مبالغة فيه ويروى جناء بدل اجتناء وهو الجنى بالقصر ومدّه هنا ضرورة واسناده التهصير الى الاجتناء مجاز عقلي من باب الاسناد للسبب ، شبّه ريقها بالخمر الجيدة وطعمه بطعم تفاح ميل غصنه

الجاني ليجتنيه إشارة الى انه مجني الآن لم يمض عليه شيء من الزمان وتلويحاً لتشبيه محبوبته بالأغصان في الرقة واللين والتثني •

هـذا وقد قيل أنه لا قلب في الآية وان الباء للتعـدية كالهمزة والاصل لتنوء المفاتح العصبة الاقوياء أي تثقلهم ، وهو رأي صاحب العمدة أيضاً •

٢ ـ المبالغة :

وذلك في وصف كنوز قارون حيث ذكرها جمعاً وجمع المفاتح أيضاً وذكر النوء والعصبة وأولي القوة قيـل كانت تحمـل مفاتيح خزائنه ستون بغلاً لكل خزانة مفتاح وهذه المبالغة في القرآن من أحسن المبالغات وأغربها عند الحذاق ، وهي أن يتقصى جميع ما يدل على الكثرة وتعدد ما يتعلق بما يملكـه ، استمع الى عمرو بن الأيهم التغلبي كيف أراد أن يصف قومه بالكرم فلم يزل يتقصى ما يمكن أن يقدر عليه من صفات فقال :

ونكـرم جارنا ما دام فينـا وتتبعـه الكرامـة حيث كانا

٣ ـ بلاغة التعليل :

وفي قوله « إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين » حسن تعليل جميـل بجمله « إن الله لا يحب الفرحـين » لأن الفرح المحض في الدنيا من حيث أنها دنيا مذموم على الاطلاق ، وأي فرح بشيء زائل وظل حائل • وقد رمق أبـو الطيب سماء هذه البلاغـة بقوله البديع :

كأن الحزن مشغوف بقلـبي فساعة هجرها يجد الوصالا

كذا الدنيا على من كان قبلي   صروف لم يُدُمن عليه حالا
أشد الغم عندي في سرور   تيقّن عنه صاحبه انتقالا

ألست تراه كيف جعل الحزن عالقاً بفؤاده حتى كأنه يعشقه ولكنه لا يواصلني إلا حين تهجرني فإذا هجرتني واصل الحزن قلبي ؟ ثم كيف يحث على الزهد في الدنيا لمن رزق فيها سروراً ومكانة لعلمه أنه زائل عما حين ، والسرور الذي يعرف صاحبه أنه منحسر عنه قريباً هو أشد الغم ، وهذا من أبلغ الكلام وأوعظه وأدله على عبقرية شاعر الخلود .

ومن جميل ما قيل في هذا المعنى قول هدبة بن خشرم لما قاده معاوية الى الحرة ليقتصّ منه في زياد بن زيد العذري فلقيه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فاستنشده فأنشده :

ولست بمفراح إذا الدهر سرني
ولا جازع من صرفه المتقلب

ولا أبتغي شراً إذا الشر تاركي
ولكن متى أحمل على الشر أركب

والمفراح كثير الفرح والمراد نفي الفرح من أصله وصرف الدهر حدثانه وإذا شرطية فلا بد بعدها من فعل أي إذا سرني الدهر وإذا كان الشر تاركي ، وأحمل مبني للمجهول وأركب للفاعل والأول فعل الشرط والثاني جوابه وجزاؤه .

٤ ـ التتميم :

وفي قوله « ولا تنس نصيبك من الدنيا » تتميم لا بد منه لأنه إذا لم يغتنمها ليعمل للآخرة لم يكن له نصيب في الآخرة ففي الحديث : « اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » وقد عاد أبو الطيب فرمق سماء هذه البلاغة مرة ثانية فقال من قصيدة يرثي بها والدة سيف الدولة وقد توفيت بميّافارقين وجاءه الخبر بموتها الى حلب سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، وأنشد أبو الطيب قصيدته في جمادى الآخرة من السنة ونورد نخبة مختارة منها:

نعد المشرفية والعوالي ... وتقتلنا المنون بلا قتال

وترتبط السوابق مُقرباتٍ ... وما ينجين من خَبَب الليالي

ومن لم يعشق الدنيا قديماً ... ولكن لا سبيل الى الوصال

نصيبك في حياتك من حبيب ... نصيبك في منامك من خيال

رماني الدهر بالأرزاء حتى ... فؤادي في غشاء من نبال

فصرت إذا أصابتني سهام ... تكسرت النصال على النصال

والشاهد المراد هو في قوله : نصيبك في حياتك البيت ، أي إن نصيب الإنسان من وصال حبيبه في حياته كنصيبه من وصال خياله في منامه ، ووجه الشبه : اتفاق الأمرين في سرعة انقضائهما ، واشتباههما في عجلة زوالهما .

الفوائد :

١ ـ قصة قارون :

نسج المؤرخون والقصاصون روايات شتى وأساطير عجيبة حول هذه القصة الفريدة التي تصلح نواة لمسرحية عالمية تمثّل الزهو الذي يصيب المتمولين ، وقد اختلف في نسبه ، قيل كان ابن عم موسى بن عمران وقيل كان ابن خالته ، وهو أول من ضرب به المثل في كثرة المال ، وفي قوله تعالى « وكان من قوم موسى » دليل على إيمانه وقرابته وكان من أحسن الناس وجهاً وقراءة للتوراة ويسمّى المنور لحسنة وقيل إنه كان من السبعين الذين اختارهم موسى من قومه ، قيل انه خرج راكباً بغلة شهباء ومعه سبعمائة وصيفة على بغال شهب عليهن الحلي والحلل والزينة فكاد يفتن بني إسرائيل ثم بغى وتكبر وركب رأسه حتى أهلكه الله . وقد أخطأ صاحب المنجد فزعم أنه وزير فرعون كأنه ظنه هامان وهذا من نتائج التسرع وعدم التحقيق . وكان سبب هلاكه أنه حسد هرون على الحبورة ، وذلك أن موسى لما قطع البحر وأغرق فرعون جعل الحبورة لهارون فحصلت له النبوة ، والحبورة بضم الحاء : الإمامة ، مأخوذة من الحبر بمعنى الرئيس في الدين ، فوجد قارون من ذلك في نفسه وقال : يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة ولست في شيء لا أصبر على هذا ، فقال موسى : والله ما صنعت ذلك لهارون بل جعله الله له ، فقال والله لا أصدقك أبداً حتى تأتيني بآية فأمر موسى رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل رجل منهم بعصاه فجاءوا بها فألقى موسى بها في قبّة له وكان ذلك بأمر الله ودعا موسى أن يريهم الله بيان ذلك ، فباتوا

يحرسون عصيهم فأصبحت عصا هارون تهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى : يا قارون أما ترى صنع الله تعالى لهارون فقال : والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر ثم اعتزل بمن معه من بني إسرائيل وكان كثير المال والتبع فدعا عليه موسى .

وقيل : انه لما نزلت آية الزكاة على موسى جاء موسى اليه وصالحه على كل ألف دينار دينار وألف شاة وعلى هذا الأسلوب فحسب ذلك فوجده مالاً عظيماً فجمع قومه من بني إسرائيل وقال إن موسى يأمركم بكل شيء فتطيعونه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا : أنت كبيرنا فمرنا بما شئت فقال عليّ بفلانه البغي فأعطاها مائة دينار وأمرها أن تقذف موسى بنفسها وجاء الى موسى وقال: إن قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتناههم فخرج فقام فيهم خطيباً فقال :يابني إسرائيل من سرق قطعناه ، ومن زنى جلدناه ، فإن كانت له امرأة رجمناه فصاح به قارون وقال له وان كنت أنت ؟ فقال نعم . قال : فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة البغي ، فقال : عليّ بها ، فلما جاءت قال لها موسى : يا فلانة أنا فعلت ما يقول هذا ؟ فقالت : لا والله يا نبي الله وانما جعل لي جعلاً حتى أقذفك بنفسي ، فسجد موسى يبكي ويتضرع ، فأوحى الله إليه : مر الأرض بما تشتهيه ، فقال : يا أرض خذيه ، فأخذته حتى غيبت بعضه ثم لم يزل يقول خذيه وهو يغيب حتى لم يبقى من جسده إلا القليل وهو يتضرع الى موسى ويسأله وهو يقول خذيه الى أن غاب . الى آخر هذه القصة التي ينفسح فيها الخيال ويمتد الى أبعد مداه .

٢ ــ وي كأنه :

وعدناك بالمزيد من بحث « وي كأنه » فنقول : ذهب الخليل

وسيبويه الى أن « وي » منفصلة معناها أعجب ثم ابتدأ فقال : كأنه لا يفلح الكافرون وكأن ها هنا لا يراد بها التشبيه بل القطع واليقين ، وعليه بيت الكتاب :

وي كأن من يكــن لــه نشــب يحبب

ومــن يفتقــــر يعــش عيش حـــــر

لم يرد هاهنا التشبيه بل اليقين ، وذهب أبو الحسن إلى أن ويك مفصولة من أنه ، وكان يعقوب يقف عـلى ويك ثم يبتـــدىء « أنه لا يفلح الكافرون » كأنه أراد بذلك الاعـلام بأن الكاف من جملة « وي » وليست التي في صدره «كأن» انما هي « وي » على ما ذكرنا أضيف اليها الكاف للخطاب على حدها في ذلك وأولئك ويؤيد ذلك قول عنترة :

ولقـــد شفى نفسي وأبرأ سقمهـــا

قيـــل الفوارس ويك عنتر أقـــدم

فجـاء بها متصلة بالكاف من غـير « أن » فهي حرف خطاب وليست اسماً مخفوضاً كالتي في غلامك وصاحبك لأن « وي » إذا كانت اسماً للفعـل فهي في مذهب الفعـل فلا تضاف لــذلك وأن وما بعدها في موضع نصب باسم الفعل الذي هو « وي » ولذلك فتحت أن والتقدير أعجب لأنه لا يفلح الكافرون ، فلما سقط الجار وصل الفعل فنصب ، وذهب الكسائي الى أن الأصل « ويلك » فحذفت اللام تخفيفاً وهو بعيد وليس عليه دليل ، وقد ذهب بعضهم الى أن

« ويكأنه » بكماله اسم واحد ، والمراد شدة الاتصال وانه لاينفصل بعضه عن بعض •

وهـذا ونص عبـارة سيبويه : « وسألت الخليـل عن قوله : « ويكأنه لا يفلح » وعن قوله « ويكأن الله » فزعم أنها مفصولة من « كأن » والمعنى على أن القوم انتبهوا فتكلموا عـلى قدر علمهم أو نبهوا فقيل لهم أما يشبه أن يكون ذا عندكم هكذا •

وقال الأعلم : « الشاهد في قوله « ويكأن » وهي عند الخليل وسيبويه مركبة من « وي » ومعناها التنبيه مع « كأن » التي للتشبيه ومعناه : ألم تر ، وعلى ذلك تأولها المفسرون •

وزعم بعض النحويين أن قولهم « ويكأن » بمعنى ويلك اعلم ان ، فحذفت اللام من « ويلك » كما قال عنترة « ويك عنتر أقدم » وحذف اعلم لعلم المخاطب مع كثرة الاستعمال وهـذا القول مردود لما يقع فيه من كثرة التغيير •

وقال أبو سيعد السيرافي : في « ويكأن » ثلاثة أقوال : أحدها قول الخليل تكون « وي » كلمة يقولها المتندّم ويقولها المندّم غيره ومعنى « كأن » التحقيق ، والثاني قـول الفراء تكـون « ويك » موصولة بالكاف و « أن » منفصلة ومعناه عنده تقرير كقولك : أما ترى ، والقول الثالث يذهب الى أن « ويك » بمعنى « ويلك » وجعل « أن » مفتوحة بفعل مضمر كأنه قال : ويلك اعلم أن الله •

وقال الفراء : « ويكأن » في كلام العرب تقرير كقول الرجل : أما ترى الى صنع الله ، وقال الشاعر :

وي كأن من يكن له نشب (البيت) •

وأخبرني شيخ من أهل البصرة قال : سمعت أعرابية تقول لزوجها : أين ابنك ويلك ؟ فقال : ويكأنه وراء البيت ، معناه : أما ترينه وراء البيت ؟ وقد يذهب بعض النحويين الى أنهما كلمتان يريد : « ويك ، انه » أراد ويلك فحذف اللام وجعل أن مفتوحة بفعل مضمر كأنه قال ويلك اعلم انه وراء البيت فاضمر اعلم ، ولم نجد العرب تعمل الظن والعلم بإضمار مضمر في أن وذلك انه يبطل اذا كان بين الكلمتين أو في آخر الكلمة ، فلما أضمره جرى مجرى الترك ، ألا ترى أنه لا يجوز في الابتداء أن تقول يا هذا إنك قائم ولا يا هذان فمت تريد علمت أو أعلم أو ظننت أو أظن ، وأما حذف اللام من « ويلك » حتى تصير « ويك » فقد تقوله العرب لكثرتها في الكلام قال عنترة : ولقد شفى نفسي (البيت) وقد قال آخرون ان معنى « وي كأن » أن « وي » منفصلة كقولك لرجل « وي » تريد أما ترى ما بين يديك فقال : وي ثم استأنف كأن يعني أن الله يبسط الرزق لمن يشاء وهي تعجب وكأن في مذهب الظن والعلم فهذا وجه مستقيم ولم تكتبها العرب منفصلة ولو كانت على هذا لكتبوها منفصلة ، وقد يجوز أن تكون كثر بها الكلام فوصلت بما ليست منه وقال أبو الفتح ابن جني : في « ويكأنه » ثلاثة أقوال :

— فمنهم من جعلها كلمة واحدة فلم يقف على « وي » •

— ومنهم من يقف على « وي » •

— ويعقوب يقف على « ويك » وهو مذهب أبي الحسن • والوجه عندنا قول الخليل وسيبويه وهو أن « وي » اسم سمي به

الفعل على قياس مذهبهما فكأنه اسم اعجب ثم ابتدأ فقال : « كأنه لا يفلح الكافرون » فـ « كأن » هنا إخبار عار من معنى التشبيه ومعناه ان الله يبسط الرزق و « وي » منفصلة من « كأن » وعليه قول الشاعر : وي كأنْ من (البيت) ومما جاءت فيه « كأن » عارية من معنى التشبيه قوله :

كأنني حين أمسي لا تكلمني
متيم أشتهي ما ليس موجودا

أي أنا حين أمسي متيم من حالي كذا وكذا .

وقال البغدادي في خزانة الادب : « وأما قول أبي الفتح أن « وي » عند سيبويه والخليل بمعنى أعجب فمردود وكذا قوله : ان « كأن » عندهما عارية عن التشبيه ، وأما تنظيره لخلو التشبيه بقوله: كأنني حين أمسي (البيت) فهو مذهب الزجاج فيما اذا كان خبر « كأن » مشتقاً لا تكون للتشبيه لئلا يتحد المشبه والمشبه به . وأجيب بأن الخبر في مثله محذوف أي كأنني رجل متيم فهي على الأصل للتشبيه » .

وقال التبريزي في شرح المعلقات « وقوله « ويك » قال بعض النحويين معناه ويحك وقال بعضهم معناه ويلك وكلا القولين خطأ لأنه كان يجب أن يقرأ « ويك انه » كما يقال ويلك انه وويحك انه » .

وقال الزمخشري في كشافه : « وي مفصولة عن كأن وهي كلمة تنبه على الخطأ وتندم ومعناه أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في

تمنيهم ، وقولهم : « ياليت لنا مثل ما أوتي قارون » وتندموا ثم قالوا « كأنه لا يفلح الكافرون » أي ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال :

وي كأن من يكن له نشب (البيت) .

وحكى الفراء أن اعرابية قالت لزوجها : أين ابنك ؟ فقال : وي كأنه وراء البيت ، وعند الكوفيين أن« ويك » بمعنى « ويلك » وان المعنى ألم تعلم انه لا يفلح الكافرون ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى « وي » كقوله « ويك عنتر أقدم » وانه بمعنى لأنه واللام لبيان المقول لأجله هذا القول ، أو لأنه لا يفلح الكافرون كأن ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدىء كأنه ، ومنهم من يقف على ويك » .

رأي الشهاب الحلبي :

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين وهو مطلع جداً : « وي كأنه ، فيه مذاهب :

أحدها : أن وي كلمة برأسها وهي اسم فعل معناها أعجب أي أنا والكاف للتعليل وأن وما في حيزها مجرورة بها أي أعجب لأن الله يبسط الرزق الخ وقياس هذا أن يوقف على وي وحدها وقد فعل هذا الكسائي:

الثاني : قال بعضهم : كأن هنا للتشبيه إلا أنه ذهب منها معناه وصارت للخبر واليقين وهذا أيضاً يناسبه الوقف على وي .

الثالث : أن ويك كلمة برأسها والكاف حرف خطاب وأن معمولة لمحذوف أي اعلم أن الله يبسط الرزق الخ قاله الأخفش وهذا يناسب الوقف على ويك وقد فعله أبو عمرو •

الرابع : أن أصلها ويلك فحذفت اللام وهذا يناسب الوقف على الكاف أيضاً كما فعل أبو عمرو •

الخامس : أن ويكأن كلها كلمة مستقلة بسيطة ومعناها ألم تر وربما نقل ذلك عن ابن عباس ونقل الفراء والكسائي أنها بمعنى أما ترى الى صنع الله ، وحكى ابن قتيبة أنها بمعنى رحمة لك في لغة حمير ولم يرسم في القرآن إلا ويكأن وويكأنه متصلة في الموضعين فعامة القراء اتبعوا الرسم والكسائي وقف على وي وأبو عمرو على ويك » •

وقال ابن هشام في أوضح المسالك وشرحه للشيخ خالد الأزهري : « ووا ووي وواها الثلاثة كلها بمعنى أعجب كقوله تعالى « وي كأنه لا يفلح الكافرون » فوي اسم فعل مضارع بمعنى أعجب والكاف حرف تعليل وأن مصدرية مؤكدة أي أعجب لعدم فلاح الكافرين » وهذا ما اخترناه في الاعراب ورأيناه أبعد من الارتياب وأدنى الى الصواب •

تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ

بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

الاعراب :

(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) كلام مستأنف مسوق لبيان أن الآخرة أعدت للذين لا يريدون علواً في الأرض . وتلك مبتدأ والدار بدل من اسم الاشارة والآخرة صفة للدار وجملة نجعلها خبر تلك وللذين متعلقان بنجعلها على أنه مفعوله الثاني وجملة لا يريدون صلة للذين وعلواً مفعول يريدون وفي الأرض صفة لعلواً ولا فساداً عطف على علواً والعاقبة مبتدأ وللمتقين خبر . (من جاء بالحسنة فله خير منها) كلام مستأنف مسوق لوعد المحسنين ووعيد المسيئين بعد ذكر أن العاقبة للمتقين . ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وجاء فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وبالحسنة متعلقان بجاء والفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية وله خبر مقدم وخير منها مبتدأ مؤخر والجملة في محل جزم جواب الشرط والفعل والجواب معاً خبر من .

(ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون) عطف على ما تقدم ويجزى فعل مضارع مبني للمجهول والذين نائب فاعل وجملة عملوا السيئات صلة الموصول وإلا أداة حصر وما مفعول ثان ليجزى وجملة كانوا صلة وجملة يعملون خبر كانوا • (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) إن واسمها وجملة فرض صلة وعليك متعلقان بفرض والقرآن مفعول به ، ومعنى فرض عليك القرآن : أوجب عليك تلاوته وتبليغه ، واللام المزحلقة ورادك خبر إن والكاف في محل جر بالإضافة والى معاد متعلقان براد لأنه اسم فاعل ، وتنكيره يدل على أمور ستأتي في باب البلاغة •

(قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين) ربي مبتدأ وأعلم خبره وهو بمعنى عالم ولذلك نصب من وجملة جاء صلة وبالهدى متعلقان بجاء ومن عطف على من الأولى وهو مبتدأ وفي ضلال خبره ومبين صفته • (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب إلا رحمة من ربك) الواو عاطفة وما نافية وكنت كان واسمها وجملة ترجو خبرها وأن وما في حيزها مفعول ترجو واليك متعلقان بيلقى والكتاب نائب فاعل وإلا أداة حصر بمعنى لكن للاستدراك ورحمة مفعول لأجله ومن ربك صفة لرحمة ، ويجوز أن يكون الاستثناء على حاله أي متصلاً ولكنه محمول على المعنى • (فلا تكونن ظهيراً للكافرين) الفاء الفصيحة ولا ناهية وتكونن فعل مضارع ناقص مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون والواو اسمها والكاف مفعول به والنون المذكورة نون التوكيد الثقيلة وظهيراً خبر تكونن وللكافرين متعلقان بظهيراً • (ولا يصدنّك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك) عطف على ما تقدم وقد تقدم إعراب نظيره ، ونعيده

لوجود فارق بسيط ، فلا ناهية ويصدنك فعـــل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون وحذفت الواو لأن النون لما حذفت التقى ساكنان الواو والنون المدغمة فحذفت الواو لاعتلالها ووجود دليل يدل عليها وهو الضمة وأصله يصدونك ، وعن آيات الله متعلقان بيصدنك والظرف متعلق بمحذوف حال وإذ ظرف لما مضى أضيف الى مثله واذ تضاف اليه أسماء الزمان كقولك حينئذ ويومئذ وقد تقدم بحث ذلك ، وجملة أنزلت في محـــل جر باضافة الظرف إليهـــا واليك متعلقان بأنزلت • (وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين) الواو عاطفة وادع فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والفاعل مستتر تقديره أنت والى ربك متعلقـــان بادع ولا ناهية وتكونن مجزوم بها وقد تقدم اعرابه واسمها مستتر تقديره أنت ومن المشركين خبرها •

(ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إلـــه إلا هو) الواو عاطفة ولا ناهية وتدع فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت يعود على محمد صلى الله عليه وسلم والخطاب له والمراد غيره على حد قوله « لئن أشركت ليحبطن عملك » ومـــع الله ظرف مكان متعلق بتدع وإلهاً مفعول به وآخر نعت لإلهاً ولا إله إلا هو تقدم إعرابها والجملة في محل نصب حال • (كـــل شيء هالك إلا وجهـــه له الحكم واليه ترجعون) كل مبتدأ وشيء مضاف اليه وهالك خبر المبتدأ وإلا أداة استثناء ووجهه مستثنى وسيأتي معنى الاستثناء في باب البلاغة ، له خبر مقدم والحكم مبتدأ مؤخر واليه متعلقان بترجعون وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب الفاعل •

البلاغـة :

١ ـــ سر التنكير في قوله « الى معاد » للتفخيم كأن هذا المعاد قد أعد لك دون غيرك من البشر ، قيل المراد به مكة وهو يوم الفتح فمعاد الرجل بلده لأنه ينصرف منه فيعود اليه فالمعاد على هذا اسم مكان ، روي أنه صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار ليلاً سار في غير الطريق مخافة الطلب فلما رجع الى الطريق ونزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة تنزى الحنين في صدره وهاجه الشوق الى موطنه وحنّ الى مولده ومولد آبائه فنزلت عليـه تطميناً لقلبه ، وفيها يتجلى مقدار الحنين الى الأوطان ، وقد رمق الشعراء جميعاً سماء هذا المعنى فقال ابن الرومي :

بلـــد صحبت به الشبيبة والصبـــا
ولبســت ثوب العيش وهو جـــديد
فإذا تمثـــل في الضمـــير رأيتـــه
وعليـــه أغصـــان الشباب تميـــد

وقال أبو تمام :

نقـل فؤادك حيـث شئت من الهوى
ما الحـــب إلا للحبيـــب الأول
كـم منـزل في الأرض يألفـه الفتـى
وحنينـــه أبـــداً لأول منـــزل

والقول في حب الأوطان كثير ، ومما يؤكد ما قلناه في حب الأوطان قول الله عز وجل « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم » فسوّى بين قتل أنفسهم وبين الخروج من ديارهم ، وقال تعالى : « وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا » .

وقال بعضهم « من أمارات العاقل بره لإخوانه ، وحنينه لأوطانه ، ومداراته لأهل زمانه » .

وقيل لأعرابي : كيف تصنع في البادية إذا اشتد القيظ واتنعل كل شيء ظله ؟ قال : وهل العيش إلا ذاك ، يمشي أحدنا ميلاً فيرفضّ عرقاً ثم ينصب عصاه ويلقي عليه كساءه ويجلس في فيئه يكتال الريح فكأنه في إيوان كسرى .

وقال يحيى بن طالب الحنفي من شعراء الدولة العباسية :

ألا هل إلى شم الخزامى ونظرة
إلى قرْقرَى قبل الممات سبيل

فأشرب من ماء الحجيلاء شربةً
يداوَى بها قبل الممات عليل

فيا أثلات القاع قلبي موكل
بكن وجدوى خيركنّ قليل

ويا أثلات القاع قد مل صحبتي
مسيري فهل في ظلكنّ مقيل

أريد انحداراً نحوها فيردّني
ويمنعني دين عليّ ثقيل

أحدث نفسي عنك إذ لست راجعاً
إليك فحزني في الفؤاد دخيل

والأبيات المشهورة للصمة القشيري :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار
ألا يا حبذا نفحات نجد وريا روضة بعد القطار
وعيشك إذ يحل الحي نجداً وأنت على زمانك غير زار
شهور ينقضين وما شعرنا بأنصاف لهن ولا سرار
فأما ليلهن فخير ليل وأقصر ما يكون من النهار

وحسبنا ما قدمناه الآن .

٢ ـ المجاز المرسل :

في قوله تعالى « كل شيء هالك إلا وجهه » أي إلا إياه ، من ذكر البعض وإرادة الكل ، وقد جرت عادة العرب في التعبير بالأشرف عن الجملة .